

منهج الإسلام

في إعداد المسئولين الشباب

الباحث

د/ عيد علي خليفة حسن

مدير عام الإدارة العامة

لشئون الدعوة والبر والأوقاف

بمديرية أوقاف أسيوط

منهج الإسلام في إعداد المسئولين الشباب

عيد علي خليفة حسن
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: eidkhalifa1717@gimail.com

ملخص البحث

يكشف هذا البحث عن النظام الواضح الذي وضعه الإسلام متمثلا في القرآن الكريم والسنة النبوية وتجارب العلماء في تكوين المسئولين الشباب وأبان عن مفهوم المسئولية ومجالاتها بالنسبة للشباب وأهمية هذه الفترة في حياة الإنسان وحاجة الأمة إلى قوة الشباب.

ويناقش بعض الظواهر السلبية التي دبت إلى المجتمعات المسلمة وهي ظاهرة الاتكالية على الغير حتى في شئون النفس وظاهرة سكرة المسئولية وذم هاتين الظاهرتين وأثبت أنهما لا يمتان إلى الإسلام بصلة ولكنهما دخيلتان عليه بأثر النفس وتقصيرها وبفعل الغزو الفكري في بلاد المسلمين.

كما تطرق البحث إلى قانون الأسباب والمسببات وموقف الإسلام منه وضرورة مراعاته في الشئون الحياتية وفي أداء المسئوليات وكذلك حوار النبي ﷺ مع الشباب وما كان يتركز حديثه عليه معهم تهيئا لهم لحمل المسئولية في شتى المجالات .

الكلمات المفتاحية: منهج الإسلام ، الدعوة الإسلامية ، تكوين ، المسئولين ، المسئولية ، الوظيفة ، الإمارة ، الشباب.

The approach of Islam in preparing young officials

Eid Ali Khalifa Hassan
Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
E-mail: eidkhalifa1717@gimail.com

Abstract

This research reveals the clear system laid down by Islam, represented in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, and the experiences of scholars in the formation of youth officials. It shows the concept of responsibility and its fields for youth, the importance of this period in human life, and the nation's need for youth strength.

He discusses some of the negative phenomena that have spread to Muslim societies, namely, the phenomenon of dependence on others, even in the affairs of oneself, and the phenomenon of drunkenness of responsibility, and he disparages these two phenomena, and proves that they are not related to Islam, but they are alienated to it by the effect of the soul and its shortening and by the intellectual invasion in Muslim countries.

The research also touched on the law of causes and causes and the position of Islam towards it and the need to take it into account in life affairs and in the performance of responsibilities, as well as the dialogue of the Prophet, peace and blessings of God be upon him with young people, and what his conversation focused on with them in preparation for them to bear responsibility in various fields.

Keywords: The Curriculum of Islam, The Islamic Call, Training, The Officials, Responsibility, The Job, The Emirate, The Youth.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام الأتمان الأكملان النيران على رحمة الله للعالمين وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى إخوانه النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أما بعد؛

فإن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة التي يكتنفها ضعف الطفولة وضعف الكهولة كما قال الله تعالى في شأنها ممتنا على خلقه ومبينا بعض مظاهر قدرته: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ"(١).

وقال سبحانه: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ"(٢).

فهي مرحلة الرشد في التوجه والتفكير ومكمن القوى والطاقات ومستودع الإمكانات العقلية والبدنية.

ولذا يجعل الله تعالى أهل الجنة في الجنة على هذه الهيئة حيث يشبون فيها ولا يهرمون ويصحون ولا يسقمون ففي سنن الدارمي بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أهل الجنة شباب

(١) سورة الروم الآية: ٥٤

(٢) سورة الأحقاف من الآية: ١٥

جرد، مرد، كحل، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم."[(١)] وأخرج الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة."[(٢)]

كما جرت سنته سبحانه أن يبعث أنبياءه عليهم السلام في هذه المرحلة العمرية؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا آتي العلم إلا شابا وقرأ: "قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ"[(٣)] ، "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ"[(٤)]، وقرأ:" إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى"[(٥)] [(٦)]

---

(١) سنن الدارمي ٣/ ١٨٦٦، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ت: حسين سليم أسد الداراني.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما٥/ ٦٥٦، ح رقم ٣٧٦٨، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، ت: أحمد محمد شاكر وآخرين.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٦٠

(٤) سورة الكهف من الآية: ٦٠

(٥) سورة الكهف من الآية : ١٣

(٦) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، ت: الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٣ دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٥٥، ط٣ مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ١٤١٩ هـ ت: أسعد محمد الطيب.

ولم يكن العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة رضي الله عنهم حين زف إليهم النبي ﷺ هذه البشرى إلا شبابا أدوا زكاة هذه المرحلة العمرية في نصرة الإسلام ونشر الفضيلة بين الناس.

وتاريخ المسلمين حافل بالنماذج الرفيعة والمثل العليا من الشباب أصحاب الهمم العالية والعزائم الماضية التي مثلت قوة عظيمة في نفع أنفسها ومجتمعاتها والنهوض بأمتها ورفعة شأنها، يقول الله تعالى في شأنهم:"وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[(١)]

ومن هؤلاء علماء دين وعلماء فلك ورياضيات وهندسة وطب ومجاهدون وعسكريون بذلوا وسعهم واستفرغوا طاقاتهم في خدمة أمتهم وبلادهم فنهضت بهم الأمة وذهب جهدهم وبقي أجرهم وعلا ذكرهم.

ولم يكن هم أحدهم أن يسجل اسمه في الدواوين أو أن يصنع له تمثال في أحد الميادين أو أن ينال جائزة تقديرية أو مالية من أحد ولكن كان همهم أن يشرفوا أمتهم وتنهض بهم بلادهم ويذكروا عند ربهم.

والعالم اليوم يسير في اتجاه تمكين الشباب من مواضع القيادة والمسئولية في مختلف المجالات وهو أمر محمود إذا ضبط بضوابط

---

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٤٦: ١٤٨

الإسلام الحنيف وتحقق الأهلية المطلوبة فيمن تناط به هذه المسئولية.

وللإسلام منهج سديد في تكوين المسئول المؤهل لحمل المسئولية، من شأن هذا المنهج أن يربط المسئول بربه ربطا وثيقا وأن ينمي فيه روح الشعور بالمسئولية ويبعث فيه روح اليقظة والعزيمة نحو العمل على نهضة أمته وبلاده.

وتتمثل الأصول الرئيسة والقواعد العامة لهذا المنهج فيما يلي:

- تربية الشباب إيمانيا وأخلاقيا وعلميا من خلال القدوة الصالحة والحوار المثمر في أصول العقيدة الإسلامية، وهذا من شأنه ان ينتج شبابا يتحلى بما يعينه على القيام بمسئوليته الفردية ومايكلف به من مهام دنيوية وأخروية من الأمانة والعلم والكفاءة وغيرها.
- بيان حتمية تحمل كل إنسان مسئوليته الكاملة عن نفسه ومن تحت إمرته والقيام بما كلفه الله تعالى به كما قال سبحانه:" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا"(١).
- الحث على العمل والعزيمة والقيام بحق الاستخلاف في الأرض وذم الفتور والكسل والاتكال على الغير.
- مراعاة قانون الأسباب والمسببات مع تمام التوكل على الله عز وجل وبيان ما يترتب على إهمال هذا القانون من المفاسد التي تضر

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٧٢

بالفرد والمجتمع والأمة كلها.

- تحذير المسئولين مما يقع فيه البعض من الغفلة بما بوأه الله تعالى من مكانة عن الشعور بالمسئولية والقيام بحقها.

ولهذا قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم المسئولية في الإسلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المسئولية في الإسلام

المطلب الثاني: ضوابط تحمل المسئولية في الإسلام

المطلب الثالث: مجالات مسئولية الشباب في الإسلام

المبحث الثاني: ظاهرة الاتكالية عند الشباب وتحذير الإسلام منها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ظاهرة الاتكالية بين الشباب اليوم.

المطلب الثاني: تحذير الإسلام من الاتكالية.

المطلب الثالث: قيمة العمل في الإسلام

المبحث الثالث: مراعاة قانون الأسباب والمسببات.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأسباب من سنن الله تعالى الكونية.

المطلب الثاني: نتائج إهمال قانون الأسباب والمسببات.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الأسباب والمسببات.

المطلب الأول: تحذير الإسلام من سكرة المسئولية.

المطلب الثاني: تعاهد المسئولين بالنصيحة والتذكير.

وقد تبعت فيه المنهج الاستقرائي من خلال تتبع النصوص القرآنية والنبوية التي تشير إلى طريقة واضحة ونظام بين في تكوين المسئولين الشباب إيمانيا وأخلاقيا وعلميا لتحمل ما يناط بهم من مسئوليات وما يكلفون به من أعمال، ثم المنهج الاستنباطي باستنتاج الدلالات التي تحمل هذا المعنى من تلك النصوص المباركة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث



المبحث الأول مفهوم المسئولية في الإسلام

يقتضي الكلام في منهج الإسلام في إعداد المسئولين الشباب بيان مفهوم المسئولية في الإسلام تعريفا بها ووصفا لضوابطها وبيانا لمجالاتها بالنسبة للشباب؛ لذلك سينتظم الكلام هنا في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف المسئولية

وفيه نقطتان:

النقطة الأولى: تعريف المسئولية في اللغة:

سأل عن كذا وسأل بكذا سؤالا، وتسآلا، وسأله مسألة: استخبره عنه، وفي التنزيل العزيز: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"[١] وفيه أيضا: "فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا"[٢] وسأل المحتاجُ الناسَ: طلب منهم الصدقة، وسأل فلان فلانا الشيء: استعطاه إياه، وفي التنزيل العزيز:" لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى"[٣].

والسؤال: ما يسأل، وهو استدعاء المعرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة. ويكون للاستفهام والاستعلام تارة، وللتعريف والتبيين أخرى.

---

(١) سورة المائدة من الآية: ١٠١

(٢) سورة الفرقان من الآية: ٥٩

(٣) سورة طه من الآية: ١٣٢

وقد يكون معنى السؤال الطلب، أي طلب الأدنى من الأعلى، ومنه طلب الصدقة، وما يطلب من طالب العلم الإجابة عنه في الامتحان والجمع: أسئلة.[١]

وإذا كان السؤال بمعنى الطلب والالتماس تعدى إلى مفعولين بنفسه كقولك: سألته العفو، وإذا كان بمعنى الاستفسار تعدى الى المفعول الأول بنفسه، والى المفعول الثاني بعن كقولك: سألته عن مذهبه.[٢]

والمسئول من رجال الدولة: المنوطُ به عمل تقع عليه تبعته.[٣]

وبهذا وغيره مما ذكر في معاجم اللغة العربية يتبين أن السؤال يقع على معان عديدة منها الطلب، والاستفسار والالتماس وغيرها، وتطلق المسئولية على التبعة المترتبة على الأعمال المنوطة بأحد من الناس.

والمسئولية بوجه عام: حال أو صفة من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته؛ يقال أنا بريء من مسؤولية هذا العمل. وتطلق أخلاقيا على التزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا، وتطلق قانونا: على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير.[٤]

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٤١١، ط مجمع اللغة العربية

(٢) انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٦٧٤): الدكتور جميل صليبا، ط الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

(٣) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٤١١

(٤) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٤١١

النقطة الثانية: تعريف المسئولية في الاصطلاح الشرعي:

يتبين تعريف المسئولية في الاصطلاح الشرعي من خلال النظر في مادة السؤال في القرآن الكريم والسنة النبوية فإنهما المصدران الأساسان لكل من الدعوة والثقافة والشريعة الإسلامية.

أولا: مادة السؤال في القرآن الكريم:

وردت مادة السؤال في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها:

قول الله تعالى: " وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ"(١)

قال أبو جعفر: قرأت عامة القراء، بضم"التاء" من"تسئل"، ورفع"اللام" منها على الخبر، ومعناه: ولست مسئولا عمن كفر بما أتيته به من الحق، وكان من أهل الجحيم."(٢)

وقوله تعالى:" تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(٣): أي لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، مثل قوله تعالى:" وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"(٤) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى"(٥).

وقوله جل شأنه:" فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ"(٦)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١١٩

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٥٥٨

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٣٤

(٤) سورة الأنعام من الآية: ١٦٤

(٥) تفسير القرطبي ٢/ ١٣٩

(٦) سورة الأعراف من الآية: ٦

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله:" فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ "[١] كقوله تعالى:" وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ"[٢] وقوله: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"[٣] فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته؛ ولهذا قال علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: "فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ"[٤] قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا."[٥]

وقوله تعالى: "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ"[٦]:

قال الطبري: "إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض."[٧]

والمواضع التي وردت فيها مادة السؤال في القرآن الكريم أكثر من مائة

---

(١) سورة الأعراف من الآية: ٦

(٢) سورة القصص: ٦٥

(٣) سورة المائدة: ١٠٩

(٤) سورة الأعراف الآية: ٦

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٨

(٦) سورة التكاثر الآية: ٨

(٧) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٦

موضع وليست كلها مقصودا بالدراسة في هذا البحث حيث إن منها ما يعني سؤال الناس بعضهم بعضا ومنها ما يعني سؤال الأقوام لرسلهم ومنها ما يعني سؤال الله تعالى من فضله والافتقار إليه.

ولا شك أن المقصود بالدراسة من مادة السؤال في القرآن الكريم ههنا هو ما أسند منها إلى الله تعالى لأن مدلول المسئولية فيها إنما هو سؤال العباد بين يدي الله تعالى على ما كلفهم به من أمانات وما أناط بهم من مهام وأعمال وعلى ما وهبهم من صنوف النعم في الدنيا ماذا عملوا فيها وكيف استعملوها؟

ثانيا: <u>تعريف المسئولية في السنة النبوية:</u>

كما قرر القرآن الكريم مسئولية الإنسان بين يدي الله تعالى قررت السنة ذلك أيضا في أحاديث كثيرة منها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته" قال: – وحسبت أن قد قال – "والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"(١)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن ٢/ ٥، ح ٨٩٣، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفا يوم القيامة لازما له لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلا" ثم قرأ قول الله عز وجل: "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ"(١)،(٢).

والأحاديث التي تقرر مسئولية الإنسان عن كل أمر يوكل إليه كثيرة اكتفيت بإيراد بعضها دون بعض لدلالته على المقصود وهي لا تخرج عما دلت عليه آيات القرآن الكريم من سؤال الإنسان بين يدي الله تعالى عن الأمانة التي كلف بها.

تعريف المسئولية في الاصطلاح الشرعي:

يتبين مما سبق ذكره من معاني المسئولية في القرآن والسنة أن المسئولية في الاصطلاح الشرعي: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة."(٣)

ويقول الدّكتور دراز: تعني المسئولية كون الفرد مكلّفا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدّم عنها حسابا إلى غيره وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسئولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسئولية قبل كل شيء هي

---

(١) سورةالصافات الآية: ٢٤

(٢) سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن ٥/ ٣٦٤،ح ٣٢٢٨

(٣) علم الأخلاق الإسلامية صـ ٢٥٢، ط١، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

استعداد فطريّ، إنّها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أوّلا، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصّة[١].

والأساس الذي تقوم عليه المسئولية هو أهلية الشخص المسئول للقيام بالمسئوليات التي يتحملها ويلتزم بها سواء كان بإلزام أم بالتزام: وهذا يقتضي أن يكون الشخص المسئول واعياً لطبيعة ذاته ولسلوكه وأهدافه ونتائج تصرفاته مما يعود على نفسه أو على غيره من نفع أو ضرر إن عاجلاً أو آجلاً، وأن تكون له حرية الإرادة والاختيار والتصرف فيما يختاره، وأن يكون مستطيعاً للقيام بمسئولياته."[٢]

فيشترط في المسئولية الحقيقية أن يكون هناك قانون يأمر بالفعل، أو بالترك، وأن تكون مخالفة المرء لما يأمر به القانون صادرة عن إرادته.[٣]

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن: محمد بن عبد الله دراز رحمه الله،صـ ١٣٧، بتصرف يسير ط ١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي صـ ٢٥٣.

(٣) المعجم الفلسفي ٢/ ٣٧٠، وتتمة كلامه: " وتنقسم المسئولية إلى مسئولية مدنية، ومسئولية جنائية، ومسئولية أخلاقية أما المسئولية المدنية فهي التي توجب على الفاعل الذي سبب لغيره ضررا أن يعوضه منه، سواء أسبب ذلك الضرر بإرادته، أم بإهماله، أم بتهوره، ومن لواحق هذه المسئولية أن يكون المرء مسئولا عن فعل غيره من الأفراد الموضوعين تحت إشرافه، مثال ذلك: مسئولية الوالد عن أولاده الصغار، ومسئولية المعلم عن تلاميذه، ومسئولية الفارس عن فرسه، ومسئولية رب العمل عن آلاته وعماله..الخ.
وأما المسئولية الجنائية فهي التي تقع على شخص ارتكب مخالفة، أو جناحا، أو جريمة، ولهذه المسئولية علاقة وثيقة بالمسئولية الأخلاقية، لأنك لا تستطيع أن تعاقب إنسانا=

"ويطلق اصطلاح الشعور بالمسئولية على إدراك الفاعل لقيمة عمله، وعزمه على الاضطلاع به، ولهذا الشعور بالمسئولية جانبان:

أحدهما متعلق بالماضي، وهو شعور المرء بالأخطاء التي ارتكبها في بعض مراحل حياته، والآخر يتعلق بالمستقبل، وهو شعور المرء بوجوب اضطلاعه ببعض الاعمال المنتظرة، وإقدامه على تحصيل بعض النتائج المرجوّة."[1]

والمسئول شرعا هو الشخص الذي يكلف بعمل ما، سواء كان هذا التكليف عاما ككل الأعمال التي يسأل عنها جميع المكلفين من قبل الشارع

=على ذنب ارتكبه، إلا إذا كان فعله مصحوبا بوعي وإرادة. لكن هناك عقوبات بسيطة تفرض على الفاعل لمجرد حدوث الفعل، بصرف النظر عن مسئوليته الأخلاقية، كالعقوبات التي يفرضها قانون السير على الذين يخالفون أحكامه بعلم أو بغير علم.

وكثيرا ما يكون بين المسئولية المدنية والمسئولية الجنائية اقتران فعلي، كمسئولية سائق السيارة الذي توجب عليه مسئوليته المدنية تعويضك من الضرر الذي سببه لك، وتوجب عليه مسئوليته الجنائية تحمّل إحدى العقوبات المنصوصة في قانون العقوبات.

وأما المسئولية الأخلاقية فهي المسئولية الناشئة عن إلزامية القانون الأخلاقي، وعن كون الفاعل ذا إرادة حرة، ومعنى ذلك أن الفاعل الذي تكون أفعاله ضرورية، أي ناشئة عن أسباب طبيعية، أو مسيرة بإرادة غيره، لا يعد مسئولا من الناحية الأخلاقية، ولهذه المسئولية درجات متفاوتة، أعلاها مسئولية الفاعل الواعي الذي تصدر الأفعال عن إرادته بحرية تامة، وأدناها مسئولية الفاعل الذي يسيطر الهوى على قلبه، ويعمي بصيرته، ويمنعه من رؤية الحق."

(١) المعجم الفلسفي ٢/ ٣٧٠

أو كانت تكاليف خاصة حُمِّلَها من قبل ولي الأمر. وإن كان المراد بالمسئول في هذا البحث هو من يتحمل تكليفا خاصا، والأول يدخل فيه دخولا أوليا لأن جميع المكلفن مسئولون أمام الله تعالى، ويتحملون نتيجة أفعالهم واختياراتهم العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله تعالى وأمام أنفسهم وأمام المجتمع.

وقد قيدت المسئولين في هذا البحث بالشباب لكون المسئولية فيهم أكثر من غيرهم ولحاجة الأمة في هذا الزمان إليهم أكثر من أي زمان مضى، ولأن كثيرا منهم عصفت به العواصف بعيدا عن المنهاج المستقيم الذي شرع الله تعالى لعباده، فراح البعض منهم يعبث بأصول الدين وفروعه تقليدا للعلمانيين والملحدين وراح آخرون لا يعبأون بمستقبل أمتهم فضلا عن مستقبل أنفسهم وذويهم جهلا منهم واتكالا على غيرهم.

****

المطلب الثاني: ضوابط تحمل المسئولية في الإسلام

لما كان المسئول في موضع القيادة والتوجيه، يصدر عن رأيه خلق كثير وينقاد بتوجيهه قطاع عريض من العاملين في القطاع العام أو الخاص كان لتحمل المسئولية في الإسلام ضوابط وقيود من شأنها أن تحقق النهضة المرجوة للأمة والبلاد وأن تصون العمل والعاملين عن العبث والفساد. وتتمثل هذه الضوابط في:

١- الكفاءة العلمية والخبرة العملية والعلم بالواقع الذي يتعامل معه المسئول

دل على هذا قول الله تعالى في شأن يوسف عليه السلام: "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"(١)، ففي هذه الآية الكريمة الحث على تعلم من يتصدى للمسئوليات الخاصة والعامة ما يعينهم على تدبير شون الناس وإدارة أمورهم كعلوم النفس والاجتماع والإدارة وفنون القيادة وما يتعلق بالواقع؛ فإن قيادة بغير علم سعي إلى الهيجا بغير سلاح.

٢- الأمانة الوظيفية: وهو ضابط جامع لصفات الكفاءة والإخلاص والصدق والقيام بالعمل على الوجه الأكمل، وقد دل الكتاب والسنة على حتمية مراعاة هذا الضابط لدى أهل الحل والعقد عند تولية المسئولين من الشباب أو من غيرهم كما قال الله عز وجل: "إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"(٢)

٣- القوة النفسية والبدنية: والمراد بالقوة النفسية: تلك الصفات التي لابد أن تكون في القائد من الجمع بين التواضع والهيبة والقدرة على التحفيز تارة والتخويف أخرى بحيث ينقاد له من تحت إمرته بيسر وسهولة.

ويراد بالقوة البدنية: قوة الجسم التي تلزمه للقيام بوظائفه المكلف بها، ويستدل على الأمرين بالآية السابقة في شأن موسى عليه السلام وبحديث

---

(١) سورة يوسف الآيتان: ٥٤، ٥٥

(٢) سورة القصص الآية: ٢٦

أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: "يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"[١] وفي الرواية الأخرى يا أبا ذر: إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم"[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية. وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: "سبعة يظلهم الله" وحديث: "إن المقسطين على منابر من نور" وغير ذلك وإجماع المسلمين منعقد عليه ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره ﷺ منها وكذا حذر العلماء وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ٣/ ١٤٥٧، ح١٨٢٥، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، والمستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ٧/١٦٦ح ٧٢١٤ ، ط١ دار التأصيل ١٤٣٥ – ٢٠١٤.

(٢) صحيح مسلم ح١٨٢٦، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة،(٣/١٤٥٧)، وسنن أبي داود ت الأرنؤوط، كتاب الوصايا باب في نسخ الوصية للوالدين والأقربين ٤/٤٩١، ط١دار الرسالة العالمية،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ت: شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي.

امتنعوا"[١].

ويستدل للقوة البدنية بقول الله سبحانه في قصة تولية طالوت الملك:"قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[٢].

فإذا تحققت هذه الضوابط في المسئول أو العامل وقع العمل منضبطا بالإخلاص والصواب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" [٣]: "أحسن عملا" أن يكون العمل خالصا وصوابا أي صالحا موافقا لما أمر الله تعالى لأن العمل إذا كان خالصا غير صواب لم يقبل، وكذلك إذا كان صوابا غير خالص، وهذا لا يتأتى إلا بتمام العقل وشدة الخوف من الله تعالى وحسن النظر فيما أمر الله به ونهى عنه والشعور بالمسئولية الكاملة والاستحضار التام لقول الله تعالى: "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" [٤] وقوله ﷺ: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضيع."[٥]

ويفيد الإطلاق في: "أحسن عملا" أن العمل الدنيوي إذا أريد به صون

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٠، ط٢ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٤٧

(٣) سورة الملك الآية: ٢

(٤) سورة الحجر الآية: ٩٢

(٥) صحيح ابن حبان، ٥/ ٣٣٢، ط١، دار التأصيل – القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ت: مركز البحوث بدار التأصيل.

النفس وإعفافها ونفع الآخرين ولم يشغل عن ذكر الله عز وجل يستوي مع العمل الأخروي في المنزلة وفي أن كلا منهما لابد فيه من توفر الإخلاص والصدق والصواب.

****

المطلب الثالث: مجالات مسئولية الشباب في الإسلام

يدفع الإسلام الشباب للعمل وتحمل المسئولية في مجالات الحياة بمختلف أنواعها ما داموا مؤهلين للقيام بمسئولياتهم، والقرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ حافلان بما يدل على أن النهضة الإسلامية في عصرها الأول لم تقم إلا بجهود الشباب وقيامهم بما أنيط بهم من مسئوليات في شتى المجالات.

ففي مجال الولايات العامة والعمل الإداري والتنفيذي يسوق لنا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام حين أظهر الله تعالى براءته وأخرجه من السجن وكشف للناس عن علمه وكفاءته فطلب الملك لقاءه وأبدى يوسف عليه السلام استعداده للقيام بأعباء الولاية على خزائن مصر وأداء مهامها على الوجه الأكمل لما رأى من نفسه تحقق شرطي القيادة: الكفاءة العلمية والأمانة الوظيفية.

وفي مجال الحرب والدفاع عن البلاد والأعراض يبعث النبي ﷺ السرايا ويؤمر عليها الشباب الأكفاء فقد بعث سرية فيها كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا واستعمل عليهم

أسامة بن زيد وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاما وقال في شأنه: "وايم الله إنه لخليق بالإمارة وإن كان أبوه لخليقا بها"[1]، وكلف عليا رضي الله عنه أن يبيت في فراشه ويتسجى ببردته الشريفة في وقت عصيب لا يستطيع الثبات فيه إلا كبار النفوس المتطلعون إلى الغايات الكبيرة، وتولى صلاح الدين الأيوبي رحمه الله حكم مصر عام ١١٦٩م ٥٦٤ هجرية وكان عمره في هذا الوقت لا يزيد عن اثنين وثلاثين عاما.

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان شباب من الأنصار سبعين رجلا يسمون القراء، قال: كانوا يكونون في المسجد، فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة، فيتدارسون ويصلون، يحسب أهلوهم أنهم في المسجد، ويحسب أهل المسجد أنهم عند أهليهم، حتى إذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء، واحتطبوا من الحطب، فجاءوا به، فأسندوه إلى حجرة رسول الله ﷺ، فبعثهم النبي ﷺ جميعا، فأصيبوا يوم بئر معونة، فدعا النبي ﷺ على قتلتهم خمسة عشر يوما في صلاة الغداة."[2]

وفي المجال الاستشاري ودعم اتخاذ القرار لم يكتف النبي ﷺ بالاستفادة من

---

(١) الروض الأنف للإمام السهيلي ٧/ ٥٠٨، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ت عمر عبد السلام السلامي، و سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد١٢/ ٢٤١ ط١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض.

(٢)مسند أحمد ٢١/ ١٢٦، ط١ مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون.

خبرة الشيوخ التي درج عليها المسئولون في كل أمة بل يقدم لنا نموذجا يحتذى به في علم الإدارة وفقه القيادة، وهو الاستنارة بآراء الشباب والاستفادة منها لمعرفتهم بواقع الناس في زمانهم وما يحيط بهم من ظروف وملابسات؛ ففي بدر سار رسول الله صلى الله عليه و سلم يبادر قريشا إلى الماء فلما جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه: يا رسول الله منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ولا نقصر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة ". قال الحباب: يا رسول الله، ليس بمنزل ولكن انهض حتى تجعل القلب كلها من وراء ظهرك ثم غور كل قليب بها إلا قليبا واحدا ثم احفر عليه حوضا فنقاتل القوم ونشرب ولا يشربون حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "قد أشرت بالرأي" ففعل ذلك.(١)

وأراد ﷺ ذات مرة مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه.

وفي مجال العمل والتجارة والثراء والإنفاق في سبيل الله تدلنا سيرة عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما من الصحابة رضي الله

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ١/ ٥٣٣ ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ت: عادل أحمد الرفاعي.

عنهم على أن أمة لا تقوم على غير طاقات الشباب وتضحياتهم فقد اشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومة وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين كل قربة بدرهم ووسعها وبنى حول فمها وأوقفها للمسلمين على أن له أن يشرب منها كما يشربون، وجهز جيش العسرة جيش غزوة تبوك وكانت زمن عسر ومشقة.[١]

وأما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فإنه حين قدم المدينة آخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه وبين سعد بن ربيع الأنصاري وكان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن أقاسمك مالي نصفين وأزوجك قال بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فما رجع حتى ربح أقطا وسمنا فأتى به أهل منزله فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله فجاء وعليه وضر من صفرة أي تلطخ من أثر طيب له لون فقال له النبي ﷺ: "مهيم". أي: ما هذا وما أمرك وهي كلمة يستعملها أهل اليمن، قال يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار قال: "وما سقت إليها". قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب قال: "أولم ولو بشاة."[٢]

وفي مجال الدعوة والتعليم أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه بعد بيعة العقبة الأولى إلى المدينة المنورة ليدعو أهلها إلى الإسلام

---

(١) أخبار المدينة لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري ١/ ٩٨، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ .

(٢)صحيح البخاري ٣/ ٥٣، ح ٢٠٤٩، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله".

ويعلمهم أحكامه، وقد نجح الداعية الشاب نجاحا مبهرا في دعوته من أول يوم مارس فيه مهام عمله لما يتمتع به من كفاءة بالغة.

ولم يكن النبي ﷺ يكتفي بتكليف الشباب بأداء مهامهم فقط، ولكنه كان يعلمهم ويرشدهم ويوجههم التوجيه الصحيح؛ فقد بعث ﷺ معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب."[1]

وبعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا."[2]

وفي مجال العلم والثقافة وتبادل المعارف مع الأمم الأخرى أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم العبرانية التي تكتب بها اليهود قائلا: "إنى والله ما آمن يهود على كتابى" أي لا آمن يهوديا يقرأ لي كتابهم ولا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ٢/ ١٢٩، ح رقم ١٤٩٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه ٤/ ٦٥، ح رقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، ح رقم ١٧٣٣.

آمنهم على كتابة كتابي إليهم أو قراءته فلعل قارئه أو كاتبه يزيد فيه أو ينقص منه حين يعلم أن أحدا منا لا يعرف لغتهم. يقول زيد رضي الله عنه: "فتعلمته فلم يمر بى إلا نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كُتب إليه."(١)

وفي مجال العمل التطوعي يقص علينا القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح ومعاونته لهما وما تمتع به من أمانة وقوة جعلتاه يحظى بمكانة عالية عند شعيب وابنتيه؛ قال الله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ"(٢).

وهكذا تتسع في الإسلام مجالات المسئولية لدى الشباب لتشمل الجوانب الدعوية والتعليمية والثقافية والعسكرية وغيرها، وهذا يدعو إلى بعث الهمم في الشباب من جديد حتى لا يدعوا مجالا لا يشاركون فيه.



(١) سنن أبي داود كتاب العلم ٥/ ٤٨٨.

(٢) سورة القصص الآية: ٢٣

المبحث الثاني
ظاهرة الاتكالية عند الشباب وتحذير الإسلام منها

المطلب الأول: ظاهرة الاتكالية بين الشباب اليوم

في مجتمعاتنا اليوم ظاهرة سلوكية تتفشى بين الشباب والفتيات وأحيانا بين الكبار، من شأنها أن تقعد بصاحبها عن تحمل المسئولية بل عن السعي والأخذ بالأسباب، فإذا كان لأحدهم مطلب أو حاجة توهم أنه عاجز عن تحقيقه أو عن السعي في تحصيله وإذا حدث لديه إشكال ظن بنفسه أنها دون إيجاد حلول مناسبة له، وأن أحدا من الناس لابد أن يذلل صعوباته ويحل مشكلاته ويسعى لإصلاح حاله.. إنه الاتكال على الغير حتى في حل مشكلاته الشخصية وتجاوز عقباتها، وعدم الشعور بالمسئولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين وعدم محاسبة النفس على تقصيرها في مصالحها الدينية والدنيوية وكذلك مصالح الآخرين فيما هو في دائرة قدراته وإمكاناته وتبرئة النفس مما يحدث لها من مصائب ومشكلات، وإسنادها لأسباب أخرى والاتكال على الآخرين في إيجاد حلولها المناسبة كالوالدين والإخوة والزملاء والجيران وغيرهم.

إن هذه الظاهرة نابعة من سفه في الرأي وخفة في العقل وعجز عن تحمل المسئولية وهذا كله في الإسلام ممقوت مذموم وصاحبه في الدارين ملوم ففي حديث الترمذي عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها،

وتمنى على الله " وقال: هذا حديث حسن[1]

ومعنى قوله: "من دان نفسه" حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة.

"قال الطيبي رحمه الله : قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ليؤذن بأن الكيس هو القادر، والعاجز هو السفيه، وتمنى على الله: أي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة."[2]

فالاتكال على الغير نوع من العجز وقرين للكسل والجبن والبخل وكلها أدواء استعاذ منها النبي ﷺ ونفر منها في دعائه المعروف: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال"[3]

الخلفية التربوية لهذا الخلق:

وتتكون قناعة الاتكال على الغير عند صاحبها منذ عهد الطفولة والدلال حيث توقظه أمه من النوم في ساعة معينة وتقدم له وجبة الإفطار وتجهز له حقيبته وتساعده في لبس ثيابه بينما يعينه والده على مذاكرة الدروس ويحل مشكلاته مع زملائه في المدرسة ومع أصحابه في الشارع

---

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ٤/ ٦٣٨ .

(٢) تحفة الأحوذي ٧/ ١٣٢، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٦٥١

ومع إخوته في المنزل.. وهذا سائغ في الصغر، ويتوجب معه على الوالدين أن ينتقلا من هذه المرحلة التي يتكل فيها الطفل كلية على والديه إلى مرحلة أخرى يتعلم فيها تدريجيا أن يعتمد على نفسه فيما يمكنه كضبط ساعة المنبه ليستيقظ وحده دون ان يوقظه أحد ويعد حقيبته وملابسه بنفسه .

فإذا لم ينتقل الوالدان إلى هذه المرحلة التي يتعلم فيها الاعتماد على نفسه داخل البيت في مطعمه وملبسه ومذاكرته مع مرور الوقت انتقل هذا الشعور الداخلي لديه إلى طور أعم في سائر مشكلات الحياة فيتكون لديه شعور بأنه لا يقدر على مواجهة الحياة بنفسه في بيته وفي عمله وفي مناحي الحياة بل لابد أن أحدا ما يجب عليه القيام بهذه الأعمال مساعدة له.

ويترتب على هذا المسلك الذميم ضياع دين الإنسان ومصالحه الدنيوية على قدر ما في نفسه من هذا الشعور.

وفي السكن الطلابي أيام المرحلة الثانوية والجامعية لاحظت أن بعض الناس لا يقوم للصلاة أو للعمل حتى يوقظه زميله، وفي حالة استيقاظ الزميل وعدم إيقاظه يجد على زملائه لأن أحدا لم يوقظه، وهذا من أثر الاتكال على الغير في مراحل التربية المختلفة.

****

المطلب الثاني: تحذير الإسلام من الاتكالية

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية توجيهات سديدة ومعان عظيمة وتحذيرات كثيرة من تفريط الإنسان في مسئوليته وفي ذم الاتكال على الغير في المسئوليات الخاصة والعامة، من تأملها نهج في حياته نهج الأنبياء

والمرسلين والأولياء والصالحين في تحمل المسئولية الكاملة تجاه نفسه ومن كلفه الله تعالى برعايته وقرَّ في قلبه أن أحدا غيره لن يكفيه إياها فنشط لأدائها، وحاسب نفسه على تقصيرها في كل كبيرة وصغيرة.

ومن هذه التحذيرات قول الله تعالى: "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" [(١)] فأنت ستحاسب أمام الله تعالى وحدك بمفردك لا مع غيرك وإن كنت في الدنيا متكلا عليه.

ومنها تلك المحاورة التي تجري بين أهل النار في النار كما أخبر عنها ربنا في قوله سبحانه: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[(٢)].

فتخبرنا هذه الآيات الكريمة – بما اشتملت عليه من محاورة بين الأتباع وهم المستضعفون وبين المتبوعين وهم المستكبرون – أن هؤلاء الذين عطلوا عقولهم واتبعوا ساداتهم واتكلوا عليهم في مسألة الدين لم يحصدوا في الدنيا غير الذل والهوان وفي الآخرة غير الندامة والصغار.

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ٩٤

(٢) سورة سبأ الآيات ٣١: ٣٣

فأنت وإن ألقيت اللوم على غيرك مسئول عن نفسك، مسئول عن دينك، عن توجهك، عن دنياك، عن آخرتك، وإلا ندمت يوم لا ينفع الندم.

ومنها قول الله تعالى:" وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" [١] فكل إنسان سيحاسب على فعله هو لا على فعل غيره وكفى بهذا محفزا للإنسان على الانشغال بإصلاح نفسه لا أن ينتظر من يصلحه.

وقوله تعالى:" وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ"[٢] وطائره: هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد، وغير واحد- من خير أو شر، يلزم به ويجازى عليه كما قال تعالى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"[٣].

والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه، قليله وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا، صباحا ومساء .

والآية تصور شدة اللزوم وكمال الارتباط بين الإنسان وعمله بتخصيص العنق بالذكر من بين سائر الأعضاء، لأن اللزوم فيه أشد، ولأنه العضو الذي تارة يكون عليه ما يزينه كالقلادة وما يشبهها، وتارة يكون فيه ما يشينه كالغل والقيد وما يشبههما.[٤]

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ١٦٤

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٤

(٣) سورة الزلزلة الآيتان: ٧، ٨

(٤) انظر: التفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي ٨/ ٣١٠، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

وتلا الحسن البصري: "إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ "[١] يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا " اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا "[٢] قد عدل – والله– عليك من جعلك حسيب نفسك.[٣]

وقال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أميا كان أو غير أمي، وقال بعض الصلحاء: هذا كتاب، لسانك قلمه، وريقك مداده، وأعضاؤك قرطاسه، أنت كنت المملي على حفظتك، ما زيد فيه ولا نقص منه، ومتى أنكرت منه شيئا يكون فيه الشاهد منك عليك.(٤)

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا

(١) سورة ق الآية: ١٧

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٤

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ٥٢ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ت: سامي بن محمد سلامة.

(٤) انظر: تفسير القرطبي١٠/ ٢٣٠، ط٢ دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى"(١)، (٢) ، فقد كان هؤلاء يقصدون الحج ولا يأخذون الزاد معهم مطلقا أو يأخذون منه قدرا يسيرا لا يكفيهم بدعوى أنهم متوكلون على الله، والحال أنهم المتكلون أو المعتمدون على الناس يقولون نحج بيت الله ولا يطعمنا؟ وسألوا في مكة كما سألوا في الطريق، فأنزل الله تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى" (٣).

والمعنى: "تزودوا من أقواتكم ما فيه بلاغكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حجكم ومناسككم، فإنه لا بر لله جل ثناؤه في ترككم التزود لأنفسكم ومسألتكم الناس ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها، ولكن البر في تقوى ربكم باجتناب ما نهاكم عنه في سفركم لحجكم وفعل ما أمركم به، فإنه خير التزود، فمنه تزودوا."(٤) ، أو "خذوا زادكم من الطعام واتقوا الاستطعام والتثقيل على الأنام "فإن خير الزاد التقوى" أي الذي يتقي صاحبه عن السؤال فمن التقوى الكف عن السؤال والإبرام.

ومفعول "تزودوا" محذوف هو التقوى ولما حذف مفعوله أتى بخبر "إنَّ" ظاهرا ليدل على المحذوف ولولا المحذوف لأتى مضمرا.. ففي الآية

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٩٧

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج باب قول الله تعالى: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى". ٢/ ١٣٣، ح ١٥٢٣

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٩٧

(٤) تفسير الطبري: (جامع البيان) ٤/ ١٦١، ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ت: أحمد محمد شاكر.

والحديث إشارة إلى أن ارتكاب الأسباب لا ينافي التوكل بل هو الأفضل وأما من أراد التوكل المجرد فلا حرج عليه إذا كان مستقيما في حاله غير مضطرب حيث لا يخطر الخلق بباله."[١]

"وفي الحديث أن التوكل لا يكون مع السؤال، وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء، وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب، كما قال عليه السلام: "اعقلها وتوكل"[٢]

ومنها قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [٣]، ومنها قول النبي ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" بلفظ كل الذي يدل على العموم والشمول فليس هناك إنسان بالغ سن الرشد وهو عاقل إلا وهو مكلف ومسئول أمام الله تعالى عن نفسه – على أقل تقدير – عن طهارته وصلاته ونومه واستيقاظه وطعامه وشرابه وسلوكه وعلاقاته.. فلن يفلح متكل على غيره فيها. ولا يصح بحال أن يتعلل تارك الصلاة لنوم مثلا بأن أحدا لم يوقظه للصلاة ولا أن يحتج طاعم الحرام بأن أحدا ما أغواه في هذا.

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٥/ ١٥٦)، ط ٢، ط المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م ت: عبد الرحمن محمد عثمان.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٣٨٤، ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ت: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين.

(٣) سورة المائدة الآية: ١٠٥

وقد يلجأ بعض هؤلاء الذين لا يتحملون مسئولية ولا يشعرون بواجبهم ولا يلومون أنفسهم على تقصيرها في تحقيق مصالحها الدنيوية والأخروية يلجأون إلى الشكاية إلى الناس والفضفضة لهم ظنا أنها تجدي في حل مشاكلهم وتفريج كربهم، والحق أن الشكاية إلى الخلق لا تفيد أحدا إلا الشماتة فيه أحيانا أو ظهوره في مظهر الضعيف الذليل العاجز المسكين الذي يرثون حاله في أكثر الأحيان، فإن شمر أحدهم عن سواعده لإعانة هذا الشاكي لم يصل بخدماته إلى المستوى الذي يريد. وصدق من قال:

ما حك جلدك مثل ظفرك.. فتول أنت جميع أمرك

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا"[(١)]

ويروى عن ميمون بن مهران قال: "لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه."[(٢)]

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة ، قال: لما قفى وفد عبد القيس، قال رسول الله ﷺ : " كل امرئ حسيب نفسه، لينتبذ كل قوم فيما بدا لهم "[(٣)]

---

(١) سنن الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ٤/ ٦٣٨،ح٢٤٥٩.

(٢) السابق، ذات الصفحة والباب

(٣) مسند أحمد ١٣/ ٤١٨، ح ٨٠٥٢، وكذلك ١٤/ ٨٠، ح ٨٣٣٦.

وفي الموطأ عن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب وخرجت معه حتى دخل حائطا، فسمعته وهو يقول، وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، بخ بخ، والله يا ابن الخطاب لتتقين الله، أو ليعذبنك."[1]

قال مالك: وبلغني أن القاسم بن محمد كان يقول: أدركت الناس وما يَعجبون بالقول. قال مالك: يريد بذلك العمل، إنما يُنظر إلى عمله، ولا ينظر إلى قوله."[2]

فمن تأمل هذا كله قر في نفسه أنه وحده من يسأل عن نفسه وعن حياته وأخطائه بين يدي الله تعالى، وأن أحدا من الناس لن يكفيه هذه المسئوليات الجسيمة التي كلف بها، وحاسب نفسه على التفريط فيها.

ويرتقي كثير من الصالحين في محاسبة النفس حتى يحاسب نفسه على أخطاء الآخرين فيقول في نفسه: كان من الواجب علي أن أقوم بواجبي في النصح والتذكير والدعوة إلى الله حتى لا يقع فلان في هذا الخطأ أو ذاك وحتى لا يصير أمر الأمة إلى ما صار إليه.

****

(١) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني باب الزهد والتواضع صـ ٣٢٧، ط المكتبة العلمية، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف

(٢) موطأ مالك ٢/ ٥٩١، ط دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية سنة١٤١٧ هـ تحقيق: بشار معروف.

المطلب الثالث: قيمة العمل في الإسلام

للعمل في الإسلام منزلة شريفة وقيمة عظيمة ورتبة علية فهو صنو الإيمان وقرينه وثمرة من ثمراته وفرع من نتاجه فما ذكر الإيمان في آية من آي القرآن الكريم إلا مقرونا بالعمل الصالح الذي ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة.

وليس العمل الأخروي فقط من طهارة وصلاة وصوم وحج هو الذي يحظى بهذه المنزلة، فالعمل الدنيوي في ذاته عبادة إن أريد به وجه الله تعالى وإيصال النفع إلى العباد والبلاد فقد دعا الإسلام إلى السعي على الرزق والأكل من عمل اليد لأنه يعف الإنسان عن السؤال ولا يعرضه للمسألة من الغير، قال الله تعالى:" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "(١) وقال:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"(٢).

وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ: "لأن يأخذ أحدكم أحبُله(٣) ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس،

---

(١) سورة الجمعة الآية: ١٠

(٢) سورة الملك الآية: ١٥

(٣) جمع حبل

أعطوه أو منعوه"[١] وعن المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود – ﷺ – كان يأكل من عمل يده" (٢)

قال بُرْدٌ مَولى ابن المسيِّب لسعيد بن المسيِّب رحمه الله: ما رأيتُ أحسنَ ما يصنع هؤلاء قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يُصلِّي أحدُهم الظهر، ثم لا يزالُ صافًّا رجليه حتى يُصَلِّي العصر. فقال: ويحك يا بُرد أما والله ما هِي بالعبادة، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله، والكفُّ عن محارم الله."[٣]

إن المجتمعات والأمم لا تنهض إلا بالعمل ولا تقوم إلا عليه، والعمل مع ما يترتب عليه من مكاسب مادية ومعنوية يُشبع لدى الإنسان جوانب وحاجات وغرائز فطرية في الإنسان لابد من إشباعها.



(١) سنن ابن ماجه كتاب الزكاة باب كراهية المسألة١/ ٥٨٨، ح ١٨٣٦، وأخرجه البخاري وأحمد.

(٢) أخرجه البخاري الصحيح: كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ٣/ ٥٧، ح ٢٠٧٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٠٢، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، ت : محمد عبد القادر عطا.

المبحث الثالث
مراعاة قانون الأسباب والمسببات

يرسخ الإسلام في وعي أتباعه على وجه العموم وفي وعي المسئولين على وجه الخصوص ضرورة مراعاة قانون الأسباب والمسببات في الشئون الحياتية والعمل للحاضر والتخطيط للمستقبل، ويعتبر هذا الفهم أمرا رئيسا في فكر المسئول وثقافته. والكلام في هذا المبحث إن شاء الله تعالى منتظم في خمسة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: الأسباب من سنن الله تعالى الكونية

المطلب الثاني: نتائج إهمال قانون الأسباب والمسببات

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الأسباب والمسببات

المطلب الرابع: نماذج وصور عملية من مراعاة قانون الأسباب والمسببات

المطلب الخامس: فريضة التوكل على الله

****

المطلب الأول: الأسباب من سنن الله تعالى الكونية:

إن لله تعالى سننا كونية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، لا تحابي أحدا على حساب أحد ولا تجامل أمة على حساب أخرى.

ومن هذه السنن: قانون الأسباب والمسببات، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة؛ فإن الله تعالى ربط بين الأسباب ومسبباتها وبين النتائج ومقدماتها بحيث لا تتخلف إحداها عن الأخرى بغض النظر عن

ديانة القائم بالأسباب ولغته وجنسيته؛ فقد ينجو الكافر إن ولج البحر لأنه يجيد السباحة بينما يغرق المؤمن لأنه لا يجيدها، وقد تتقدم الأمم الكافرة لأنها أخذت بأسباب العلم والمدنية والحضارة بينما تتخلف الأمة المسلمة وتتراجع لأنها أهملت تلك الأسباب وأعرضت عن تلك المقدمات التي تصل بها إلى البغية المنشودة.

وما أصدق قول القائل:

لا تسعَ للأمر حتى تستعد له ... سعيٌ بلا عدة قوس بلا وتر

لم ينج نوح ولم يغرق مكذبه ... حتى بنى الفلك بالألواح والدسر[(١)]

وهذه السنة الكونية الثابتة من شأنها أن تضع كل إنسان في موضعه الذي سلك له أسبابه فيتميز المجد عن الكسول ويرفع العالم ويخفض الجهول فتنضبط الحياة وتتحقق الغاية منها "ولولا نظام الأسباب ومراعاتها لصار المجتمع البشري هملا وهمجا."[(٢)] فاستوى العالم والجاهل والبر والفاجر والظالم والمظلوم وصارت الحياة فوضى غير منضبطة كما قال تعالى:" وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ "[(٣)]

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية ٢/ ١٣، رقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣/ ٢٢، ط الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

(٣) سورة المؤمنون من الآية: ٧١

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنة الكونية وهي ارتباط الأسباب بالمسببات وبناء النتائج على المقدمات ومجانسة حصاد ثمرات الأعمال لطبيعتها وحسب جنسها في آيات كثيرة منها قوله تعالى:" مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ"(١) وقوله تعالى:" مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا"(٢)

فمن تمسك بهذه الأسباب الكونية التقديرية الإلهية وصل إلى مسبباتها وإن كان لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين، ومن أهملها ولم يأخذ بها لم ينل مقصوده ولم ير منشوده ولو كان من المؤمنين،.وتاريخ البشر في الماضي والحاضر خير شاهد على هذا.

****

المطلب الثاني: نتائج إهمال قانون الأسباب والمسببات

بعد النصر الذي حققه المسلمون في بدر "خيّل إلى الكثير منهم أن النصر سيكون بالآيات، وخوارق العادات، من غير التزام السنن الإلهية التي جعلها الله فى هذا الكون، وبنى عليها نظام الحياة، وظنوا أن وجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، ودعاءه ربه واستغاثته إياه أشد نكالا بالعدو من

---

(١) سورة هود الآية: ١٥

(٢) سورة لإسراء الآيتان: ١٨، ١٩

اتباع السنن الظاهرة التي من أهمها التزام النظام العسكري وإطاعة القائد، وجودة التعبئة، وحسن الحيلة، والتدبير فى وضع الخطط الحربية، وفاتهم أن الدين الإسلامى دين الفطرة، لا دين خوارق العادات، وسلوك طريق المعجزات. فلما قصّروا فى الأخذ بالأسباب يوم أحد ظهر عليهم عدوهم، وجرح الرسول ﷺ، وإن كان هو لم يقصر ولم ينهزم، ولكن البلاء إذا نزل لا يخص من كان السبب فى وجوده كما قال تعالى: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (١) وكان من هذا درس عظيم للمؤمنين لمسوه بأيديهم وعلموا أن الرسول ﷺ بشر ليس له من أمر العباد شيء، وإنما هو معلّم وأسوة حسنة فيما يعلم، والأمر كله لله يدبره بمقتضى سننه فى الخلق."(٢)

فمن ترك الأسباب فقد ألغى عقله، وأفسد وجوده، وأدخل الخلل على حياته، ونحن نرى في واقعنا المشاهد أن الحيوان الأعجم لا يرضى هذه المنزلة التي صار إليها العجزة والمتواكلون فإن الحيوان يدفع الجوع بالأكل الذي يطلبه ويسعى إليه، وينال منه، ويدفع الظمأ بالماء، برد موارده، ويلتمس مواطنه، ويمدّ فمه إليه، وبتقى العدوّ المتربص به، بكل سلاح يقدر عليه، فيقاتل بقرونه، وأنيابه، ومخالبه، وأظفاره.. وبكيانه كله. وإن هو رأى من نفسه العجز عن لقاء عدوّه ومدافعته، طلب النجاة.. فرارا، وهربا.

---

(١) سورة الأنفال من الآية: ٢٥

(٢) تفسير المراغي ٤/ ٦١، ط١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

فالإنسان الذي يعطّل جوارحه، ويميت مشاعره، ويلقى بنفسه فى منامة العجز والتواكل، محتجا بأن ما قدّر له سيقع، سواء سعى أم لم يسع– هذا الإنسان ليس أهلا لأن يعيش فى الناس، أو يحسب فى الأحياء..

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس"[١]

"وليس من الإيمان ولا من العقل ولا من التوكل على الله أن ينتظر الإنسان ثمارا بدون غرس، أو شبعا بدون أكل، أو نجاحا بدون جهد، أو ثوابا بدون عمل صالح."[٢] أو أن يقعد الإنسان في بيته وينتظر الرزق مع أنه لم يأخذ بالأسباب ولم يسع عليه فكيف يأتيه؟

****

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الأسباب والمسببات

الإسلام لا يناقض الفطرة ولا ينقضها بل يسايرها ويقدرها ويحترم السنن الكونية والقوانين الربانية التي سنها الخالق في صنعه وكونه؛ ومن هنا فإنه يحث أتباعه على مراعاة قانون الأسباب والمسببات ويأمرهم بالأخذ بالأسباب مع تمام التوكل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه فهو يعد الأسباب من القدر الذي يجري على الإنسان؛ فعن أبي خِزامة، عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت رُقىً نسترقيها، ودواء نتداوى

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب ٤/ ٢٩٦ ط دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي رحمه الله ٦/ ٣١.

به، وتُقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله. [(١)]

أي أخبرني عن الرقى وهي جمع رقية وهو ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء، وعن التقى جمع تقاة، وأصلها وقاة قلبت الواو تاء وهو ما يلجأ إليه الناس خوف الأعداء، هل هذه الرقى والتقى والعلاجات ترد قدر الله؟ فقال ﷺ: "هي من قدر الله"، "يعني أنه تعالى قدر الأسباب والمسببات وربط المسببات بالأسباب. فحصول المسببات عند حصول الأسباب من جملة القدر."[(٢)]

فالإسلام يأمر أتباعه أن يأخذوا بالأسباب ويتبعوا الوسائل التي تحفظ عليهم حياتهم ودماءهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وتؤمن مجتمعاتهم وأوطانهم وتضمن لهم خيري الدنيا والآخرة، وذلك في كل المجالات والمواطن في الحضر والسفر في الصحة والمرض في الاقتصاد والاجتماع والعلم والطب وغيرها.

ففي طلب الرزق يقول الله تعالى آمرا عباده بالسعي في جوانب الأرض: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" [(٣)] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الطب باب ما جاء في الرقى والأدوية وقال: هذا حديث حسن ٤/ ٤٠٠، وابن ماجة في سننه كتاب الطب باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء ٢/ ١١٣٧ح ٣٤٣٧ ، ط دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢/ ٣٤٠ ط دار الجيل - بيروت.

(٣) سورة الملك من الآية: ١٥

وذكر الله تعالى عن أهل عرفات هذا الدعاء المبارك: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[(١)] ثم ذكر جزاءهم فقال: "أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [(٢)] فقال: (مما كسبوا) "ولم يقل: لهم ما طلبوا للدلالة على أنهم مع الدعاء والضراعة إلى الله تعالى في طلب ما طلبوا لم يهملوا الكسب فقد سعوا وأخذوا بالأسباب.

وفي وجوب إعداد القوة المادية والعسكرية والتدريب على القتال لمواجهة العدو يقول جل وعلا:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" [(٣)]

ويقول في شأن نبيه ﷺ: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"[(٤)]

فأمره ﷺ بالتوكل مع مباشرته للأسباب وشروعه في إعداد العدة وأخذ الأهبة والاستعداد؛ إذ التوكل لا يتحقق إلا مع الأخذ بالأسباب لأن الله تعالى أمر بهما مجتمعين.

وفي أخذ الحذر والحيطة من العدو يقول:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا"[(١)]، ويقول لنبيه لوط – عليه السلام –:

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٠١

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٢

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦٠

(٤) سورة آل عمران الآيتان ١٢١، ١٢٢

"فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ" (٢) ويقول لنبيه موسى – عليه السلام –:" فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ"(٣)، فأمرهما بالسير بأقوامهما ليلًا أخذا بالأسباب واستعمالا للوسائل ومراعاة لسنن الكون وهو القادر سبحانه على أن ينجي أنبياءه ورسله وأتباعهم بخوارق العادات بعيدا عن الأسباب المادية والأمور البشرية ولكنه أراد أن يعلم الناس أن السنن لا تجامل ولا تحابي وأن الله تعالى يعطي النتائج وفقا للمقدمات ويوصل إلى المسببات وفقا للأسباب.

ويقول في الحكاية عن نبيه يعقوب لنبيه يوسف –عليهما السلام–:

"قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (٤) وقال حكاية عنه أيضا: "وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"(٥) فأمرهم بالحذر مع التنبيه على أنه متوكل على الله والتذكير بوجوب التوكل عليه، فجمع بين الواجبين، وبين أنه لا تنافي بينهما، ولا غناء للمؤمن عنهما.

---

(١) سورة النساء الآية: ٧١
(٢) سورة هود من الآية: ٨١
(٣) سورة الدخان الآية: ٢٣
(٤) سورة يوسف الآية: ٥
(٥) سورة يوسف الآية: ٦٧

وفي الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع يقول رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا."[١]

وحين سئل النبي ﷺ فقيل له: يا رسول الله أتتداوى؟ قال تداووا فإن الله لم ينزل داءاً إلا أنزل له شفاءاً علمه من علمه وجهله من جهله."[٢] ونهى ﷺ أن يورد ممرض على مصح[٣] أي يورد صاحب إبل مريضة إبله على إبل صحيحة حتى لا يتسبب في نقل المرض إلى الصحيحة.

وفي حالات الاضطرار التي يتعرض فيها الإنسان لهلاك نفسه رخص له الشرع في الأكل من الميتة: "فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [٤] "يعني: أن من اضطر إلى أكل الميتة أكل الميتة وتسبب في إمساك رمقه بأكل الميتة، ولم يقل له: فانتظر وتوكل على الله حتى ينزل لك رزقا من السماء!! لم يقل هذا؛ تعليما للناس بالأخذ بالأسباب، وتعلق قلوبهم بربهم، وتوكلهم عليه."[٥]

وفي حالات الحرب والخوف من العدو رخص الله تعالى في صلاة الخوف بالطريقة المعروفة شرعا وهي طريقة تجعل المجاهدين في يقظة

---

(١) مسند أحمد ٢٠/ ٥٠

(٢) مسند أحمد ٣٠/ ٣٩٨ ح رقم ١٨٤٥٦

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة المائدة الآية: ٣

(٥) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشنقيطي ٥/ ٤١٧، ط ٢: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ. ت: خالد بن عثمان السبت.

وحذر وانتباه لأمر العدو وفي هذا دلالة على وجوب الأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة إلا إذا انقطعت به.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا"[1] وهو ظاهر فى أن التوكل يكون مع السعى، لأنه ذكر للطير عملا وهو الذهاب صباحا فى طلب الرزق وهى فارغة البطن والرجوع وهى ممتلئتها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "اعقلها وتوكل."[2]

وفيما رواه مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان."[3]

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب التوكل واليقين (٢/ ١٣٩٤)ح ٤١٦٤، مسند أحمد (١/ ٣٣٢) ح ٢٠٥.

(٢) سنن الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ٤/ ٦٦٨، ح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤/ ٢٠٥٢،ح ٢٦٦٤.

قال الإمام البقاعي في معنى الحديث: "معناه – والله أعلم: افعل فعل الأقوياء، ولا تفعل فعل العجزة، وذلك بأن تنعم النظر، تمعن في التأمل وتتأنى، حتى تعلم المصادر والموارد، فلا تدع شيئاً يحتمل أن ينفعك في الأمر الذي أنت مقبل عليه ولا يضرك إلا فعلته، ولا تدع أمراً يمكن أن يضرك إلا تركته واحترزت منه جهدك، فإنك إذا فعلت ذلك وأتى أمر من عند الله بخلاف مرادك كنت جديراً بأن لا تقول في نفسك: لو أني فعلت كذا، فإنك لم تترك شيئاً، وأما إذا فعلت فعل العجزة، وتركت الجزم فما أوشك أن تؤتى من قبل ترك الأسباب، فما أقربك إلى أن تقول ما يفتح عمل الشيطان من "لو"[١]

لذلك روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه رأى قومًا قابعين في رُكن المسجد بعدَ صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المُتوَكِّلون على الله، فعَلاهم عمر رضي الله عنه بدِرَّته ونَهَرَهم، وقال: لا يَقعُدنَّ أحدُكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علِمَ أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فضّة، وإن الله يقول: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ"[٢]

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: قلت لأبى هؤلاء المتوكلون يقولون: نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل، قال: ذا قول ردىء خبيث، يقول الله عز وجل: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ١٥٨ ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) سورة الجمعة: ١٠

ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]، وقال أيضا: سألت أبى عن قوم يقولون: نتكل على الله ولا نكتسب، قال: ينبغى للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعوّدون أنفسهم الكسب، هذا قول إنسان أحمق.

وكان سفيانُ الثوريّ رحمه الله يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.[٢]

****

المطلب الرابع:
نماذج وصور عملية من مراعاة قانون الأسباب والمسببات

يسوق القرآن الكريم والسنة المشرفة مواقف وأحداثا من حياة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم نهجوا فيها هذا النهج الذي قرره الإسلام وراعوا فيها هذه السنة الكونية الثابتة والتمسوا الأسباب التي توصل إلى مسبباتها، وقدموا المقدمات الصحيحة التي تترتب عليها نتائجها النافعة؛

---

(١) سورة الجمعة الآيتان: ٩، ١٠

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ٤٧٥، ط دار ابن حزم بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وانظر: الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر بن الخلال صـ ٥١، ط١، دار العاصمة، الرياض – السعودية ، ١٤٠٧هـ.

لتتكون لدى المؤمن قناعة تامة وخصوصا إذا كان مسئولا أن الأمور لا تسير هكذا بدون تعب وجهد وأن النتائج لابد أن يكون لها مقدمات وأن النهضة لابد أن يسبقها جهد وعمل.

ومما ورد في القرآن الكريم من ذلك أن يعقوب عليه السلام أمر بنيه حين أرادوا السفر إلى مصر أن يحتاطوا وأن يحذروا خوفا من إصابتهم بالعين لأنهم كانوا كثرة كاثرة كما قال تعالى: "وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ" (١)، ولا يقال: كيف يأمر نبي الله يعقوب عليه السلام بهذا وهو يعلم أنه لا ينفع حذر من قدر لأن "هذا الاحتياط من باب الأخذ بالأسباب المأمور بها، لأنها من القدر، لا من من باب التحرز من القدر."(٢)

وطلب يوسف عليه السلام من صاحبه الذي ظن أن ناج من السجن أن يذكره عند سيده أخذا بالسبب في نجاته وإظهارا لبراءته قال تعالى: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ"(٣)

وأمر الله تعالى مريم عليها السلام وهي في آلام المخاض بهز جذع النخلة تعليما لهذه الأمة أن العطاء والرفعة والمجد لا يكون إلا بالسعي المتواصل والعمل الدؤوب "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي

---

(١) سورة يوسف الآية: ٦٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ١٥٨.

(٣) سورة يوسف الآية: ٤٢

مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[١]

ولا شك أنه لو أراد أن يتساقط عليها رطبها من غير سبب لتساقط من غير سبب، ولكنه أجرى العادة بأن جعل للأرزاق والمعايش أسبابا، وربط بين الأسباب ومسبباتها بما شاء بقدرته وحكمته:

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته ولكن كل شيء له سبب [٢]

ومما ورد في السنة النبوية من نهج الأنبياء وأتباعهم في مراعاة قانون الأسباب والمسببات أن نبينا ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة كانت هجرته مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه سرا، بينما كانت هجرة عمر رضي الله عنه علانية متحديا مشركي مكة بقوله: "من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي" فلم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه.

فآثر النبي ﷺ الهجرة سرا ولم يفعل كما فعل عمر رضي الله عنه، ومع مقامه عند الله تعالى لم يحمل بالقدرة الإلهية من مكة إلى المدينة في طرفة عين كما في حدث في الإسراء والمعراج لأن هذا مقام حفاوة وتكريم والهجرة مقام أخذ بالأسباب وتعليم فقد أراد ﷺ أن يعلم أمته حتمية الأخذ

---

(١) سورة مريم الآيات: ٢٣: ٢٥

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/ ٤١٧.

بالأسباب مع تمام اليقين في الله والتوكل عليه حين أخذ بأسباب النجاة من التخطيط والتدبير والهجرة خفية واتخاذ دليل فى الصحراء .

وحين وصل ﷺ إلى جبل ثور دخل إلى غار مظلم مع شدة توكله على الله وثقته بالله ليتسبب بالمحافظة من أعدائه.

هاجر أم إسماعيل:

وهاجر أم إسماعيل عليهما السلام تسعى بين جبلي الصفا والمروة سبعا حين احتاج ابنها إلى الماء فلما أخذت بالسبب واجتهدت في السعي جاءها الفرج من ربها سبحانه حيث أرسل الله تعالى لها جبريل فضرب بجناحه الأرض فنبعت زمزم الباقية إلى يوم القيامة وخلد الله تعالى هذه الذكرى فجعلها شعيرة من شعائر الإسلام حيث يقول سبحانه: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (١).

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وشبيه بهذا موقف سيدنا عمر رضي الله عنه حين أراد ان يدخل الشام ومعه صحابة رسول الله صلى اله عليه وسلم فأخبر أن الوباء قد وقع بها فاستشار المهاجرين والأنصار ثم عزم على العود فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! أفرارا من قدر الله؟ قال: نعم، نفر

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٨

من قدر الله إلى قدر الله، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة![1] أرأيت لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان: إحداهما خصبة، والأخرى جدبة أليس يرعى من يرعى الجدبة بقدر الله، ويرعى من يرعى الخصبة بقدر الله؟ ثم خلا به بناحية دون الناس، فبينا الناس على ذلك إذ لحقهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متخلفا ولم يشهد معهم يومهم الأمس فقال: ما شأن الناس؟ فأخبره الخبر فقال: عندي من هذا علم، فقال عمر رضي الله: ما عندك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه" ، فحمد الله عمر رضي الله عنه فرجع وأمر الناس أن يرجعوا."[2]

هذه المواقف من حياة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم تدلنا على فقه التعامل مع السنن الكونية وحسن الأخذ بالأسباب المادية للتوصل إلى الغايات والمقاصد الدنيوية والأخروية وتدلنا على أن ترك الأسباب من الضلال، والاعتماد بالكلية عليها من الضلال، والحق الذي ينبغي للإنسان أن يأخذ به هو ان يأخذ بالأسباب حسب ما جاء به الشرع الكريم متوكلا قلبه على الله، مفوضا أمره إليه، عالما بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه

---

(١) جواب الشرط في كلام سيدنا عمر رضي الله عنه محذوف تقديره: لقبلته منه أو لعاقبته.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٣٥٤، ط٣ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، ت: محمد عبد القادر عطا.

لم يكن ليخطئه كما قال هنا: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (١).

من قصص الصالحين في الأخذ بالأسباب:

كما حفظت لنا صفحات التاريخ وتراجم الصالحين وسيرهم هذا الأدب مع الله تعالى في التماس الأسباب مراعاة لما أجراه الله تعالى من سنن في الخلق فكانوا يتحملون متاعب السعي على الرزق ولا يعرفون الكسل والركود والاعتماد على صدقات المحسنين.

قال إبراهيم بن أدهم لشقيق البلخي بمكة: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طيرا مكسور الجناحين أتاه طائر صحيح الجناح بجرادة في منقاره قال فتركت التكسب فاشتغلت بالعبادة فقال إبراهيم ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار فأخذ شقيق يد إبراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا إسحاق."(٢)

---

(١) التوبة: آية: ٥١

(٢) الوافي بالوفيات ١٦/ ١٠١، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى: ٧٦٤هـ، ط دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، وانظر: لسان الميزان ت أبي غدة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٥٩ ، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م، ت: عبدالفتاح أبو غدة.

هؤلاء قد فهموا الإسلام، عملاً وتعباً، جهداً وبذلاً، لم يفهموا الإسلام تقاعساً ولا كسلاً، ولا دعة ولا خمولاً، وذلك لأن الإسلام رفع من شأن صاحب اليد العليا، ولا يريد لأتباعه أن يكونوا عالة على غيرهم.

****

المطلب الخامس: فريضة التوكل على الله

وهكذا رأينا "أن ترك الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد في العقل، فالتوكل محله القلب، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح، والإنسان مسوق إليه بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ومأمور به في الشرع.. ذلك بأن الإنسان إذا توكل ولم يستعد للأمر ويأخذ له أهبته بحسب سنة الله في الأسباب والمسببات وقع في الحسرة والندم عندما يفوته غرضه فيكون ملوما شرعا وعقلا، كما قال تعالى في مسألة الإسراف في المال: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[(١)] وإذا هو استعد وأخذ بالأسباب واعتمد عليها غافلا قلبه عن الله تعالى كان عرضة للجزع والهلع إذا خاب سعيه ولم ينل مراده فيفوته الصبر والثبات اللذان يهونان عليه الأمر، وربما وقع في اليأس الذي لا مطمع معه في فلاح ولا نجاح؛ ولذلك قرن الله الصبر بالتوكل في عدة آيات من كتابه، قال تعالى حكاية عن الرسل –عليهم السلام– في محاجة أقوامهم: "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٩

عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"[١] وذكروا أن الله هداهم سبله وهي سننه في الأسباب وأنهم موطنون أنفسهم على الصبر لأنهم متوكلون عليه تعالى، ووصف الذين هاجروا من بعد ما ظلموا بقوله: "الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [٢]

وجاء ذكر التوكل في مقام ذكر الحرمان من الرزق أو من سعته، كما جاء في مقام الصبر على إيذاء المعتدين كقوله تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ"[٣]، وقوله في مقام وجوب نبذ الاغترار بسعة الرزق خشية الغفلة عن الآخرة:" وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[٤]،[٥]، "ولهذا المعنى- وهو أنه لا ينفع أصلاً سبب إلا بالله- أنزل الله التسمية مقرونة بهاء السبب أول كتابه، وأمر بها أول كل شيء"[٦]

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس يوماً فقال له رجل من الحضور: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن القدر، فقال بيت مظلم فلا تدخله، فقال:

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ١٢

(٢) سورة النحل الآية: ٤٢

(٣) سورة الطلاق من الآيتين: ٢، ٣

(٤) سورة القصص الآية: ٦٠

(٥) انظر: تفسير المنار ٤/ ١٧٠.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ١٦٠.

يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن القدر، فقال: سر الله فلا تتكلفه، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن القدر، فقال: أما إذا أبيت فإنه أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض، فقال: يا أمير المؤمنين! إن فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضرك، فقال: عليّ به! فأقاموه، فلما رآه سل من سيفه قدر أربع أصابع فقال: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ وإياك أن تقول أحدهما فترتد فأضرب عنقك! فقال: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل: أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها."[1] ، وحين أمر يعقوب عليه السلام بنيه أن يدخلوا من أبواب متفرقة "خاف أن يسبق من أمره هذا إلى بعض الأوهام أن الحذر يغني من القدر، فنفى ذلك مبيناً أنه لم يقصد غير تعاطي الأسباب على ما أمر الله وأن الأمر بعد ذلك إليه: إن شاء سبب عن الأسباب مسبباتها، وإن شاء أبطل تلك الأسباب وأقام أسباباً تضادها ويتأثر عنها المحذور، فقال: "وما أغني عنكم من الله من شئ" أي ما أجزي وأسد وأنوب عنكم من الله أي شئ إن أراد بكم، سواء كنتم مفترقين أو مجتمعين.[2] فأراد بهذا تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة تأدبا مع واضع الأسباب ومقدر الألطاف في رعاية الحالين، لأنا لا نستطيع أن نطلع على مراد الله في الأعمال فعلينا أن نتعرفها بعلاماتها ولا يكون ذلك إلا بالسعي لها.[3] والأخذ بأسبابها الموصلة إليها مستعينين بالله متوكلين عليه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ١٦٠.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ١٦٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ٢١.

المبحث الرابع
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب

كان من منهج النبي ﷺ في إعداد الشباب لتحمل المسئولية أنه لا يفتؤ يحاورهم إذا أتيحت الفرصة في حضر أو سفر ليعلمهم ويرشدهم ويدربهم على حمل الأمانة والقيام بمسئوليات الأمة فرباهم على مخافة الله تعالى ومراقبته في السر والعلن ونمى فيهم روح الشعور بالمسئولية وعلمهم مهارات إتقان العمل وغرس في نفوسهم ملكات القيادة وأخلاق القياديين.. ولذا جعلت هذا المبحث في عشرة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في أصول العقيدة

حرص النبي ﷺ على أن يغرس في نفوس الشباب الاعتقاد الجازم في الله تعالى ورسوله ﷺ وأن يذكرهم باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، فكان غالب حواره معهم يدور حول محور العقيدة والفكر، تلك العقيدة التي تبني الإنسان القوي المؤمل في رحمة الله وعفوه الذي لا يعرف اليأس والإحباط وتُكَوِّنَ في عقله تصورا عن الحياة والكون يستطيع معه أن يتحمل المسئوليات وأن يواجه المصاعب والشدائد بنفس أبية.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: "يا معاذ". قلت: لبيك يا رسول الله، وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ ". قلت: لبيك

رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: "يا معاذ بن جبل". قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: "هل تدري ما حق الله على عباده؟ "قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا". ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل". قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ "قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق العباد على الله أن لا يعذبهم."(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٢)، وعند أحمد بزيادة: " واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا."(٣)

وكان ﷺ في حواره مع الشباب يذكرهم بموقفهم بين يدي الله تعالى وسؤالهم عن أعمارهم عموما وعن شبابهم خصوصا ويحثهم بهذا على

---

(١) صحيح البخاري كتاب اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل ٧/ ١٧٠، ح رقم ٥٩٦٧.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ٤/ ٦٦٧، ح رقم ٢٥١٦.

(٣) مسند أحمد ٥/ ١٩، ح رقم ٢٨٠٢.

استثمار طاقاتهم في طاعة الله، أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم."(١)

وعن الحسن، قال: عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي قبض فيه، فقال معقل: إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمت أني حي ما حدثتك، سمعته يقول: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"(٢)

أثر العقيدة الإسلامية في تحمل المسئولية:

لا شك أن هذه العقيدة الصافية التي حرص الإسلام على غرسها في نفوس الشباب صنعت منهم على مر العصور رجالا يتحملون المسئولية وجعلت منهم أبطالا لا يهابون الموت لا لغرض من أغراض الدنيا ولكن حبا في الله وتفانيا في العمل لرفعة أمتهم وبلادهم ومن نماذج هؤلاء صاحب

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم إلا من حديث الحسين بن قيس و حسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه وفي الباب عن أبي برزة و أبي سعيد.

(٢) مسند الشهاب القضاعي ٢/ ٢٢، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي.

النقب رضي الله عنه وقصته معروفة مشهورة، فقد كان القائد الأموي مَسْلَمة ابن عبد الملك[1] يحاصر حصنا حتى أعياهم حصاره فاختار فرقة فدائية لاقتحامه، وتقدّم رجل من تلك الفرقة تحت السهام معرّضاً نفسه للخطر حتى نقَبَ نَقْباً (أي صنع ثغرة) دخل منه الجند، وفُتح الحصن وكان النصر، ثم اختفى ذلك الرجل، وسأل عنه مسلمة فلم يعرفه، فجمع الجند وقال: أقسمت على صاحب النَّقْب أن يخرج. فتقدم رجل مقنَّع لا تظهر منه إلا عيناه وقال: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا.

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو سعيد وأبو الأصبغ الأموي روى عن عمر بن عبد العزيز، وروى عنه معاوية ابن خديج ويحيى بن يحيى الغساني وعيينة ابن أبي عمران والد سفيان وعبد الملك ابن أبي عثمان وكانت داره بدمشق في محلة القباب عند باب الجامع القبلي وولي الموسم في أيام الوليد وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم عزله وولي أرمينية .. وله آثار كثيرة في الحروب ونكاية في الروم توفي سنة عشرين ومائة يوم الأربعاء في المحرم بالشام.(تنظر ترجمته في: تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٨/ ٢٧ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ت: عمرو بن غرامة العمروي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٣٥/ ٣٨، ط ١مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، ت: د. بشار عواد معروف، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٦ ط دار الحديث– القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)

- ألا تسودوا اسمه في صحيفة الخليفة.
- ولا تأمروا له بشيء.
- ولا تسألوه من هو.

فقال مسلمة: نعم، فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو. وما جئت إلا لأنك استحلفتني، وقد عملت ذلك لمن يعطيني أكثر مما تعطيني، فإن كان عندك مال أو جائزة فقد عملته لله الذي يعطي أكثر مما عندك. ثم اختفى.

فكان مسلمة لا يصلي صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب. [(١)]

وقصة صاحب النقب هذا قصة متكررة في الأمة على مختلف أزمانها وسعة بلادها بفضل العقيدة الإسلامية.

وهكذا يربي الإسلام المسئول على الخوف من الله تعالى ومراقبته في السر والعلن وهو كاف في أن يباشر أعماله ويتفحصها بنفسه ويهتم بما كلف به من مسئوليات ولا يعول على تفويض غيره فقد يخون الأمين، ويغش الناصح وينحرف المستقيم.

****

(١) انظر: نور وهداية: علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) صـ٢٧١ جمع وترتيب: حفيد المؤلف: مجاهد مأمون ديرانية، ط٣، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م.

المطلب الثاني

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في أخلاق المسئولين

حرص النبي ﷺ في حواره مع الشباب على غرس الأخلاق الإسلامية الحميدة التي تعين المسئول على أداء مهمته ونجاح رسالته وإيصال نفعه للناس ولا عجب فإن المسئول يتعامل مع أناس تختلف طباعهم وتتعدد مشاربهم وتتنوع أفهامهم وتتفاوت عاداتهم وبتتباين بيئاتهم، والأخلاق الحميدة خير زاد له بعد الإيمان بالله تعالى في أداء الأمانة المكلف بها، وما لم يتزود لها من مكارم الأخلاق أخفق في أدائها على الوجه الأكمل، ومن أهم هذه الأخلاق التي ينبغي للمسئول أن يتحلى بها:

الصبر: إن الله تعالى ذكر فضيلة الصبر في كتابه وحث عليه كل مسلم ليستعين به على الطاعة وعلى ترك المعاصي وعلى أقدار الله المؤلمة وعلى أذية الخلق وأما المسئول فإن الصبر له ألزم ومنه أحمد وبه أجدر؛ وقد كان ﷺ لا يفتؤ يحث أصحابه عليه حتى في ساحات القتال لأن المطالب العلية لا تنال إلا بالصبر والانتصار على النفس؛ عن أبي قتادة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنّه قام فيهم فذكر لهم "أنّ الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال" ، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفّر عنّي خطاياي؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "نعم إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر" . ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كيف قلت؟" . قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفّر عنّي خطاياي؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم.

وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلّا الدين، فإنّ جبريل عليه السّلام قال لي ذلك"(١)

العدل: أمر النبي ﷺ بالعدل في القضاء بين الناس، والمسول قائم في مقام القاضي في كثير من الأمور، ومن توجيهاته ﷺ في ذلك ما روته أمنا عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فأتي بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: "أتشفع في حد من حدود الله؟"، فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله ﷺ، فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت، فقطعت يدها، قال يونس: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ"(٢)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ٣/١٥٠١، ح ١٨٨٥

(٢) صحيح مسلم كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ٣/ ١٣١٥.

الرحمة والتيسير:

ومما حرص النبي ﷺ على اتصاف المسئولين به خلق الرحمة والرفق والتيسير على الناس فعن عبد الرحمن بن شماسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا: "اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به"(١)

قال الإمام النووي رحمه الله: "هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى"(٢)

ترك الغضب إلا لله تعالى:

إن المسئول الفطن من يلزم صفات الصبر والحلم ويتعامل مع التحديات والصعوبات بحنكة وعقلانية بعيدا عن الغضب المذموم الذي يؤدي

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨ ح ١٨٢٨.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣.

إلى المفاسد فقد نهى النبي ﷺ عن الغضب وحذر منه إلا في موطن تنتهك فيه حرمة الله وتضيع فيه الحقوق وتهدر الحرمات وتجلب المفاسد، وكان ﷺ لا يغضب إلا أن تنتهك حرمة الله فيغضب، ومن ذلك ما ورد عن عبد الله ابن مسعود– رضي الله عنه– قال: "قسم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قسما، فقال رجل: إنّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته. فغضب حتّى رأيت الغضب في وجهه ثمّ قال: "يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"(١)

إن هذه الأخلاق العظيمة وغيرها مما دعا إليه الإسلام ولم يسمح المقام بذكره هنا تمثل عاملا قويا من عوامل نجاح المسئول في مهمته.

****

المطلب الثالث

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في مفهوم العبادة

فهم بعض الشباب في عهد النبي ﷺ أن العبادة هي الصلاة والصيام والصدقة والاعتكاف في المسجد فحسب، وأن الإنسان يقرب من ربه بقدر عزلته عن الناس وبعده عن المجتمع وقد أوضح النبي ﷺ لهؤلاء أن مفهوم العبادة في الإسلام يختلف عن هذا الفهم؛ فمخالطة الناس وخدمتهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٤/ ٩٥، ح ٣١٥٠. وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٩، ح ١٠٦٢.

وإعانتهم وقضاء حوائجهم أمور ضرورية تعبدية في ديننا الحنيف، ومما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١)

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: مر رجل من أصحاب رسول الله – ﷺ – بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله – ﷺ – فقال: " لا تفعل، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا فى سبيل الله، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة."(٢)

وعن سالم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم،

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ٧/ ٢ ح ٥٠٦٣.

(٢) سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله ٤/ ١٨١، ح ١٦٥٠.

لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة[١]

وعن ابن عمر، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام"[٢]

فالحوار النبوي مع الشباب يرسخ لمفهوم شمولية العبادة وأنها كما تشمل الصلاة والصيام والزكاة والجهاد فإنها تشمل نفع المجتمع وإعانة المحتاج ومساعدة الضعيف وقضاء حوائج الخلق وهذا ما قرره الله تعالى في كتابه الكريم حيث يقول: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" ويقول:

---

(١) سنن الترمذي – أبواب الحدود باب ما جاء في التلقين في الحد ٤/ ٣٤،ح ١٤٢٦.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ١٣٩ح ٦٠٢٦، ط دار الحرمين – القاهرة، ت: طارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

"فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" إلى غير ذلك من الآيات التي نفيد أن الإسلام ليس دين رهبانية ولا عزلة، وأما العزلة فإنها عارضة وليست أصلا كما فى الحديث الذى رواه أبو ثعلبه فى قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ"[1]، حيث قال: أما والله، لقد سألت عنها رسول الله – ﷺ – فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مُطاعاً وهوى مُتبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه ورأيت أمراً لابد لك منه فعليك بنفسك ودع أمر العوام، فإن وراءكم أيام الصبر، صبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله قالوا: يا رسول الله – ﷺ –، أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم"[2]

إن هذا المفهوم الشامل للعبادة في الإسلام من شأنه أن يبعث الحماس في نفس المسئول لتحمل المسئولية وأن يقوم بواجبه نحوها حق القيام وأن يسعى في قضاء حوائج الناس مبتغيا بذلك وجه الله عز وجل ومحتسبا منه الأجر والثواب.

****

(١) سورة المائدة من الآية: ١٠٥

(٢) سنن الترمذي، تفسير القرآن ٥/ ٢٥٧، ح ٣٠٥٨، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٣٥٨، ح ٧٩١٢.

المطلب الرابع
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في قضايا تشغلهم

وكان ﷺ دائم الاهتمام بقضايا الشباب في مختلف المجالات وما يتعرضون له من تحديات ومشكلات فكان يرشدهم إلى ما فيه صلاح حاضرهم ومستقبلهم بحكمة ليس لها نظير ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع ؛ فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء."[1]

وعنه رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن شباب، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي؟ فنهانا، ثم رخص لنا في أن ننكح المرأة بالثوب إلى الأجل، ثم قرأ عبد الله : "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم."[2]

فأمرهم النبي ﷺ بالزواج وأباح لهم أن يلتمسوا النكاح ولو باليسير مما يتراضى عليه الرجل وولي المرأة، وأرشد من لم يملك نفقاته أن يكثر من الصوم لأنه علاج لتحدي الشهوة والفتنة التي يكثر تعرض الشباب لها، ومع ذلك نهاهم عن الخصي؛ "لما فيه من تغيير خلق الله، ولما فيه من قطع النسل، وتعذيب الحيوان."[3]

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب قول النبي ﷺ: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج" وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح٧/٣ح رقم ٥٠٦٥.

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٤٧، ح رقم ٤١١٣

(٣) شرح النووي على مسلم ٩/ ١٨٢

وهذا يدلنا على حكمة المنهج النبوي ووسطيته في علاج المشكلات ومواجهة التحديات حيث راعى ﷺ غريزة قضاء الشهوة وإنجاب الولد عند الإنسان، مع حظره تحريم ما أحل الله من الطيبات.

****

المطلب الخامس
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في الحث على اغتنام مرحلة الشباب وتقوية عزائمهم

وفي حواره ﷺ مع الشباب كان يحثهم على اغتنام هذه المرحلة التي يتمتع فيها الشاب بالصحة والعافية وحذر من تفويتها في الغفلة فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك."(١)

وفي سنن الترمذي: "وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا."(٢)

وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"

(٢) ٢٣٣٣ سنن الترمذي أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في قصر الأمل ٤/ ٥٦٨، ح ٢٣٣٣.

"أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك"(١)

إن عمر الإنسان لا يخلو عن حالين فإما صحة أو مرض، فإذا كان الإنسان صحيحا وجب عليه أن يجتهد في العمل والطاعة بقدر ما فيه من القوة، لعل هذا الاجتهاد يقوم مقام ما يفوت حالة المرض والضعف ويجبر ما حصل من تقصير في حال فترة الإنسان(٢)؛ فإن المرض إذا طرأ على الإنسان فرط في العمل بسببه، وهو لا يدري ما اسمه غدا أي هل يقال له: شقي أو سعيد؟ ولا يدري هل هو حي أو ميت.

وينقل النبي ﷺ الشباب من حضيض العجز إلى قمم العزائم حيث الترفع عن الدنايا وسفساف الأمور إلى عز الدنيا وشرف الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(٣)

"والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ٣٤١، ح ٧٨٤٦

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ١١/ ٢٣٥، ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٢

صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك"[١]

إن القوة هي عماد المجتمع وأساسه ومستودع الطاقات النفسية والجسمانية ولا تنهض أمة ولا تقوم دولة بل ولا يكون الإنسان فاعلا إلا بها قال الله تعالى لموسى عليه السلام: "فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا"[٢] وقال لقومه: "خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ" [٣] وقال ليحيى عليه السلام: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ"[٤]، وقال لهذه الأمة الخاتمة: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ"[٥]، وقال النبي ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف."[٦] وهذا كله لا ينال إلا بالعزيمة الماضية والهمة العالية، ويذكر القرآن الكريم من صفات المؤمنين الخلص عباد الرحمن أنهم لا

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٢١٥

(٢) سورة الأعراف من الآية: ١٤٥

(٣) سورة البقرة من الآية: ٦٣، ٩٣، والأعراف من الآية: ١٧١

(٤) سورة مريم من الآية: ١٢

(٥) سورة الأنفال من الآية: ٦٠

(٦) صحيح مسلم كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤/ ٢٠٥٢، ح٢٦٦٤.

يرضون بالدون وأنهم يطلبون الإمامة في الدين وهي منزلة ولاية وقرب من الله تعالى تتواضع لشرفها ورفعتها كل منازل الدنيا "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (١). ويربي أتباعه على أن لا يقبلوا أن تكون أمتهم في ذيل الأمم عالة على غيرها فيرغبهم في تحصيل أسباب القوة المادية والروحية قال الله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" (٢)

إن الإسلام يكره الهمم الضعيفة ويمقت الأدواء النفسية التي تنقص من قدرة المسلم على مواجهة الحياة ويأمره أن يتخلص منها ليكون يقظ الهمة قوي العزيمة صادق الإيمان نافعا لنفسه محققا لأهدافه نافعا لأمته.

وفي دعاء واحد يستعيذ النبي ﷺ من جميع الرذائل النفسية والبدنية التي من شأنها أن تقعد بالإنسان عن العمل فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال"(٣)

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٧٤

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦٠

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة ٤/ ٣٦ ح ٢٨٩٣.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: دخل رسول صلى عليه وسلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار، يقال له: أبو أمامة، فقال: "يا أمامة، ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟"، قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: "أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب عز وجل همك، وقضى عنك دينك؟"، قال: قلت: بلى، يا رسول، قال: "قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال"، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني"(١)

قال الكرماني: "هذا الدعاء من جوامع الكلم لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية فالأولى بحسب القوى التي للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية فالهم والحزن يتعلق بالعقلية والجبن بالغضبية والبخل بالشهوانية والعجز والكسل بالبدنية والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى والأول عند نقصان عضو ونحوه والضلع والغلبة بالخارجية فالأول مالي والثاني جاهي والدعاء مشتمل على جميع ذلك"(٢)

****

(١) سنن أبي داود باب في الاستعاذة ٢/ ٩٣ ح ١٥٥٥، ط المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٢٢/ ١٥٩، ط ٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان١٤٠١هـ – ١٩٨١م، وانظر فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٧٤.

المطلب السادس

حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في تخلية القلب قبل الدخول في الطاعة

وحرصا على الصدق في العبادة وإتقان العمل والإخلاص فيه وترغيبا في تحصيل ثمراته وأجره يأمر النبي ﷺ أصحابه بتخلية القلب من العلائق الدنيوية التي تشغل عن إحسان الطاعة قبل الدخول فيها فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ: "غزا نبي من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا لم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خَلِفات وهو ينتظر أولادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت – يعني النار – لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا ، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعها فجاءت النار فأكلتها. فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا."[١] وحكمة النهى عن اتباعه في هذه الأحوال الثلاثة التي يجمعها التعلق بالأسباب الدنيوية – والله أعلم –

---

(١) متفق عليه.

أن عزيمة أصحابها جينئذ ضعيفة ورغباتهم فاترة عن الجهاد والشهادة وربما أفضى هذا التعلق لدى بعضهم إلى كراهة ما شرع الله من الطاعة والقيام بالمسئولية على الوجه الأكمل.

****

المطلب السابع
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في التحذير من آفة الانقطاع عن العمل

إن العمل لا ينضج ثماره ولا يؤتي أكله إلا إذا استقام عليه صاحبه وواظب على إتقانه حتى يألفه ويعتاد عليه ويصبح جزءا رئيسا من يومه، وآفة كثير من الشباب أنهم ينقطعون عن إتمام ما بدأوا من أعمال طيبة ومشروعات حسنة سواء كانت هذه المشروعات وتلك الأعمال مهارات تحتاج إلى تنمية أو من جنس الطاعات التي يقتصر نفعها على العبد أو التي يتعدى نفعها للناس كطلب العلم والبحث العلمي والحرف والصناعات وغيرها.

وتلك آفة يكرهها النبي ﷺ وينفر منها ومن مشابهة أصحابها فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ: "يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"(١) وكان صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره، صلى من النهار

---

(١) متفق عليه.

ثنتي عشرة ركعة[١] كراهة الانقطاع، ولذلك يقول ﷺ: "من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل"[٢]

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "من بورك له في شيء فليلزمه"[٣]

إن الاستمرار على العمل وإلزام النفس به هو المعيار الذي يقاس به نجاح الإنسان وتفوقه؛ فليس الشأن أن ينجز الإنسان عملا في يوم ما ولكن الشأن أن يستديم على هذا العمل الطيب وأن يحافظ عليه فالعمل الدائم وإن كان قليلا يجني صاحبه ثمرته وإن طال الزمان وأما العمل المنقطع فكالشجرة التي لا تسقى حتى تيبس فروعها وتتساقط أوراقها وتكاد تموت من العطش.. فمتى تنهض من جديد؟

وكان ﷺ يحرص على غرس قيمة العمل بهذا المفهوم في نفوس الصحابة رضي الله عنهم حتى كأنه لا يرى عملا إلا ما استقام عليه صاحبه؛ وفي الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من أنفق

---

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو أو مرض ١/ ٥١٥ ح ٧٤٦

(٢) سنن أبي داود باب من نام عن حزبه ٢/ ٤٨١.

(٣) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ٢/ ٢٤٢، ط دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٢٦هـ.

زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على من يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم. [١]

فإذا تأملت قوله ﷺ "من أنفق زوجين" في الحديث السابق ومعناه عند أهل العلم: من أنفق شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين وكذلك من صلى ركعتين ومشى في سبيل الله خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك كله، أدركت أنه ﷺ إنما أراد – والله أعلم – أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع[٢] فعد الاستدامة على العمل عنصرا رئيسا لاعتباره.

****

---

(١) الموطأ مالك بن أَنس الأَصبحي ٩٣ ـ ١٧٩هجرية رواية يحيى بن يحيى الليثي الأَندلسي (١٥٢– ٢٤٤) هجرية، ط ١ المجلس العلمي – المغرب – ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م مطبعة النجاح – الدار البيضاء، ت: محمد الراونديوآخرين.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٧/ ١٨٥، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٣٨٧ هـ، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري.

المطب الثامن
حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب في القضايا المهمة بطريقة الإقناع

وفي علاجه ﷺ لمشكلات الشباب الفكرية لم يكن يلجأ إلى السيف أو العصا بل كان يقارع الفكر بالفكر والحجة بالحجة ويتكلم بما يقنع عقول الشباب ويرضي عواطفهم ويزكي نفوسهم؛ سواء كانت هذه المشكلات من قبيل الشهوات أو من قبيل الشبهات؛ ففي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه. فقال : "ادنه". فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: " أتحبه لأمك؟". قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟". قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟". قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟". قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: " أفتحبه لخالتك؟ ". قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه". قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ."[١]

---

(١)مسند أحمد ط الرسالة ٣٦/ ٥٤٥، ح رقم ٢٢٢١١.

وفي فتنة الخوارج الحرورية التي كادت أن تقضي على الأخضر واليابس في خلافة علي رضي الله عنه لتكفيرهم المسلمين واستحلالهم دماء هم؛ فـ"عندهم لا يُسمَّى مؤمنا إلا من أدَّى الواجبات واجتنب الكبائر، ويقولون: إنّ الدين والإيمان قول، وعمل، واعتقاد ولكنه لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى كبيرة كفر في الدنيا وهو في الآخرة خالد مخلد في النار إن لم يتب قبل الموت."(١)

في هذه الفتنة لم ينجح إلا هذا المنهج النبوي المبارك في الإقناع والتأثير الذي سلكه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما تأسيا بالنبي ﷺ واستطاع أن يرد كثيرا منهم إلى الحق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف" فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين: "أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم" قال: "إني أخافهم عليك" قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: "مرحبا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟" قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه قالوا: "ثلاث"، قلت: ما هن؟ قال:

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة صـ٣٦، مطبعة سفير، الرياض.

"أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" [1] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسب، ولم يغنم، إن كانوا كفارا لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم.

قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: "حسبنا هذا.

قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟

قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ" [2]، وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل. وفي المرأة وزوجها: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٥٧

(٢) سورة المائدة من الآية: ٩٥

مِنْ أَهْلِهَا"[١]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ " قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم: "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"[٢] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم. وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: "اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله" قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله ﷺ: "امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله"[٣] والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ " قالوا: "نعم. فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار."[٤]

---

(١) سورة النساء من الآية: ٣٥

(٢) سورة الأحزاب من الآية:٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٣/ ١٩٣، ح ٢٧٣١.

(٤) السنن الكبرى للنسائي٧/٤٨٠ح رقم ٨٥٢٢، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ١٦٤، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني١٠/ ١٥٨، السنن الكبرى للبيهقي٨/ ٣١٠.

وهكذا ينبغي على المسئولين من أولي الأمر والدعاة والإعلاميين أن يقوموا بواجبهم تجاه الشباب لتبصيرهم بما ينفعهم وأمتهم وبلادهم بهذا المنهج النبوي السديد في الإقناع العقلي والتأثير الوجداني والحوار الهادف.

****

المطلب التاسع
مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم الشباب لترسيخ الإيمان بالعمل المؤسسي

كما كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه مع كمال عقله وسداد رأيه امتثالا لأمر الله تعالى وتطييبا لنفوس أصحابه[1] وليرشد المسئولين في كل زمان ومكان أنه لا يستغني أحد عن المشاورة وأن العمل الصادر عن عقول شتى أعظم وأكمل من العمل الصادر عن رأي واحد، قال تعالى: "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"[2] وقال سبحانه في صفة المؤمنين الخلص: "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"[3] .

فكان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه؛ تعليما لهم ليقتدوا به في ذلك عند النوازل، وليصير ذلك سنة متبعة في أمته.

ومن ذلك أنه ﷺ شاورهم يوم بدر في التوجُّه إلى قتال المشركين،

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ٢/ ٥٣٧، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٥٩

(٣) الشورى من الآية: ٣٨

وشاورهم قبل معركة أحد أيبقى في المدينة أم يخرج إلى العدو، وشاور السعدين: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق، فأشاروا عليه بترك مصالحة العدو على بعض ثمار المدينة مقابل انصرافهم عنها، فقبل رأيهما، وهكذا كان رسول الله -ﷺ- كثير المشاورة لأصحابه[1] حتى قال العلماء: "لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله -ﷺ"[2]

وهكذا يعكس حوار النبي ﷺ مع الشباب في أمور الدولة وقضايا الحرب والسلام يعكس لنا قيمة ذات أهمية بالغة، وهي قيمة الشورى لدى المسئولين فالمشاورة سبيل معرفة الرأي الصواب؛ لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا لرأي ومدى فائدته، وبعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالبًا، كما أنَّ بالمشاورة استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجاربهم التي اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات، كما أن بالمشاورة عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح الضَّرر بعد وقوعه، ولا يرفعه كونه حسن النية."[3] وإن كانت المشاورة في حقه ﷺ تفضلا وتواضعا وتأليفا لقلوب أتباعه وإلا فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى وإنما كانت الحكمة ما سبق بيانه فكان ﷺ يشاورهم وينزل على آرائهم امتثالا للأمر الإلهي وتدريبا للشباب

---

(١) أصول الدعوة صـ ٢١٨، ط٩ مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية صـ ١١٧، ط دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣) أصول الدعوة صـ ٢١٨.

على المشاورة في المسئوليات العظام.

****

المطلب العاشر: اكتشاف النبي صلى الله عليه وسلم النوابغ من الشباب

ومن منهجه ﷺ في إعداد الشباب لتحمل مسئولياتهم أنه كان يعمل على اكتشاف النوابغ من الشباب ويثني على كل واحد منهم بما يجيده ويسنده إليه دفعا له لطلب الزيادة فيه والتفاني في إتقانه وبذله لأهله؛ فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد ابن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح."(١)

وخطب عمر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:"أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ ابن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإن الله جعلني له خازنا وقاسما.."(٢)

---

(١) سنن الترمذي باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم٥/٦٦٤ح٣٧٩٠، وسنن ابن ماجه باب فضائل زيد بن ثابت ١/٥٥ح١٥٤.

(٢) العقد الفريد ٤/ ١٥٣، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت: ٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

وعلى هذا النهج سار الصحابة رضي الله عنهم فقد كان عمر رضي الله عنه يدني منه في مجلسه الشاب العالم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استفادة منه وتهييئا له للقيام بدوره في المسئولية.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر - رضي الله عنه - يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟! فقال عمر: إنه من حيث علمتم ! فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قول الله: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ"(١)

فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله - ﷺ - أعلمه له، قال: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)" (٢) فقال عمر - رضي الله عنه -: ما أعلم منها إلا ما تقول."(٣)

ولما قال رسول الله ﷺ في مجلس ضم كبار الصحابة ومعهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعا: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها

---

(١) سورة النصر الآية: ١

(٢) سورة النصر

(٣) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" ٦/ ١٧٩، ح ٤٩٧٠.

وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟". قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا يا رسول الله: أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: "هي النخلة". قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا."[١]



(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب الحياء في العلم ١/ ٣٨، ح ١٣١.

المبحث الخامس الإسلام وسكرة المسئولية

المطلب الأول
تحذير الإسلام من سكرة المسئولية

ربما يتجرد بعض المسئولين في القطاعات العامة أو الخاصة من ضوابط المسئولية بعد تقلدها والقيام فيها ومن قيم الصدق والإخلاص ويفقد بعضهم صواب المسلك في العمل غير مستنير بنور الوحي الشريف في متطلبات عمله فتدوخته دوامة العمل ليل نهار وتعصف به أمواج العُجب والوجاهة والمخالطة إلى مناطق السكر والغفلة.

ولهذه السكرة على من يسقط فيها من المسئولين في كل زمان ومكان آثار سيئة على شخصه وعلى المجتمع فإن خدمة المجتمع ونفع الناس غرض ثانوي في وعي هؤلاء لا أساس، والواقع شاهد على أن العمل يتراجع عندهم من خدمة الناس والمجتمع - وهو الهدف الأسمى من مشروعية العمل- إلى خدمة أنفسهم وذويهم واستغلال أماكنهم في أمور غير مشروعة ومن الشجاعة في أخذ القرار إلى الحذر من تبعات الوظيفة ومن المضامين إلى الشكليات حتى يصبح ترتيب الأوراق وإنهاؤها على الوجه الرسمي هو المقدم عندهم دون أن يكون لهذه الأوراق في أحيان كثيرة ترجمة حقيقية على أرض الواقع؛ وتتبدل أحوال بعضهم من الصلاح إلى الفساد ومن

إخلاص النية لله في تقديم الخدمات العامة إلى العمل لإرادة الشرف والجاه والمنصب والمال..الخ.

إن هذه الغفلة أشد سكرا من الخمر؛ فإن الخمر يذهب عقل الإنسان ساعة من ليل أو نهار لكن سُكر هذه يبقى أثرها معه طويلا فينسيه ما ينتظره بعد موته من حساب وجزاء.

وفي الإنسان جانب لا يزداد بالانهماك في العمل بهذه الطريقة الممسوخة والمكاسب الزائفة المادية والمعنوية المترتبة عليه والانشغال بها إلا خمولا وذبولا وضعفا وأفولا، ذلك هو الجانب الروحي والوجداني الذي لا يشبعه إلا الاستغراق في ذكر الله والقرب منه والخلوة لمناجاته ولو بعض الوقت كل يوم.

إن الانهماك في العمل اليومي في المجالات المختلفة مكتبية كانت أو ميدانية بلا وازع من دين أو ضمير مع الاستغراق في حب المال والشهرة والوجاهة والمنصب، حتى ينسى المسئول المقصود الأسمى من العمل ليشبه السعار الذي يجري لعاب صاحبه حين يرى فريسته حتى يذهب عقله ويغيب وعيه ويشبه السكرة التي تدخله في عالم السكارى والمعربدين.

ومكمن خطورة هذه السكرة أن أكثر الناس لا ينتبهون لها بدعوى أن العمل عبادة وإن كان صاحبه فاسدا مفسدا؛ قد ينتبهون لسكرة حب النساء أو الأموال لكنهم قلما يتنبهون لسكرة المسئوليات والجاه والشرف، وإن كانت كلها في النهاية تؤدي إلى شيء واحد هو الغرق في مستنقع الشهوات والفساد والأثرة وعدم المبالاة وانشغال العقل وغفلة القلب عما ينتظر الإنسان

في الدار الآخرة من حساب ونعيم أو عذاب.

وقد حذر القرآن الكريم من تلك السكرة التي يقع فيها الإنسان فقال الله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ"(١)

وقال سبحانه:"أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ"(٢)

وعن عبد الله بن الشخير – بكسر الشين والخاء المعجمتين – رضي الله عنه – أنه قال: أتيت النبي – ﷺ – وهو يقرأ: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ"(٣) قال: "يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!"(٤). وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"(٥)

وتعظم المصيبة على صاحب هذه السكرة حين يمعن فيها حتى

---

(١) سورة المنافقون الآية: ٩

(٢) سورة التكاثر

(٣) سورة التكاثر الآية: ١

(٤) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٣، ح ٢٩٥٨، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) سنن الترمذي، أبواب الزهد وقال: حديث حسن صحيح ٤/ ٣٨٩ح ٢٣٧٦ ، ط دار الرسالة العلمية – بيروت ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩هـ.

يضيع ما فرض الله تعالى عليه من الصلاة فلا يرجى له صلاح ولا منه فائدة لأن هذه السكرة إن تمكنت من قلب أردت صاحبه قتيلا وهو في عالم الأحياء فلم يعد قلبه يشعر بألم البعد عن الله عز وجل.

وعلى ذلك فالإسلام في منهجه الإعدادي للمسئولين الشباب يتجاوز هذا التحذير إلى ما هو أبعد وهو تحصين المسئولين من السقوط في براثن المغريات ومواجهة التحديات التي تواجه المسئولين من خلال العقيدة والأخلاق كما سلف بيانه؛ ألم تر إلى قوله ﷺ يرغب الشباب في تزكية النفس ويدعوهم إلى طهارتها وتعلقها بالله تعالى الذي يمنح الإنسان القدرة على العطاء والقوة على تجاوز الصعاب: "سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه."(١)

****

المطلب الثاني: تعاهد المسئولين بالنصيحة والتذكير

ولذا كان عمر رضي الله عنه دائم التذكير لعماله في الأمصار مع

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ١/ ١٣٣، ح رقم ٦٦٠، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ٢/ ٧١٥، ح رقم ١٠٣١.

رتبتهم العالية في الصلاح والإخلاص أن لا يقعوا في غفلة الأعمال الوظيفية وسكرة الأشغال اليومية حتى تفوتهم الصلاة المفروضة لأن من ضيع حق الله لم يستبعد منه تضييع حقوق العباد؛ روى الإمام مالك، عن نافع مولى عبدالله بن عمر، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع".[(١)]

والموفق كلما شعر من نفسه بشئ مما سبق انشغالا يسيرا عن طريق الله تعالى هرع إلى الذكر والصلاة وقراءة القرآن وعاد من جديد لمحاسبة نفسه ليجدد النية والعهد مع الله تعالى ويضبط وجهته مرة أخرى في طريق الحق والخير فلا تصل إليه هذه السكرة بحال كما حدث مع سيدنا حنظلة رضي الله عنه وهو أحد كتاب رسول الله – ﷺ – قال: لقيني أبو بكر – رضي الله عنه – فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله – ﷺ – يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله – ﷺ – عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا، قال أبو بكر – رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله – ﷺ. فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله – ﷺ: "وما ذاك؟" قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين فإذا خرجنا من

---

(١) موطأ مالك ١/ ١٠٠، ط١ المجلس العلمي – الدار البيضاء، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، لكن يا حنظلة ساعة وساعة" ثلاث مرات(١).

وحرصا من النبي ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم أن تنال هذه السكرة أحدا منهم كان ﷺ دائم النصح والتوجيه لهم بالحيطة واليقظة؛ وعدم التسويف في عمل الصالحات فعن أبي هريرة – رضي الله عنه: أن رسول الله – ﷺ – قال: "بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟!"(٢) وعنه، قال: قال رسول الله – ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات" يعني: الموت"(٣) وكان ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".(٤)

فالعاقل من يستعين بالله تعالى على ما ولاه من المسئوليات ويحذر

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٠٦ح٢٧٥٠، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الزهد، وقال: حديث حسن ٤/ ٣٤٧ ح ٢٣٠٦.

(٣) رواه الترمذي في أبواب الزهدوقال: حديث حسن ٤/ ٣٤٨ ح ٢٣٠٧.

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" ٨/ ٨٩ ح ٦٤١٦.

من السقوط في هوة سكرتها ويوازن بين مشاغله الحيايتة ومحبوباته التي ربما تبعثه على الانحراف عن الجادة والتي تؤدي به إلى الغفلة عن وقوفه وسؤاله عما عمل في دنياه وبين حقوق ربه سبحانه وأن يكون ذكر الله تعالى في قلبه وعلى لسانه وجوارحه وتكون مراقبته حاضرة في وجدانه والموت والبعث والحساب على باله دوما حتى يؤدي ما كلف به على الوجه الأكمل؛ فإن الجاه والمنصب والشرف حجب كثيفة تحول بينه وبين الرؤية النافذة والبصيرة الناقدة والوجهة المسقيمة والطريق القويمة وإن الإنسان إذا مات كشفت عنه تلك الحجب وانتبه إلى تفريطه وتقصيره وندم وقت لا ينفع الندم كما قال الله تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"(١)

وهكذا ينبغي علينا جميعا وعلى أهل الحل والعقد في المؤسسات والوزارات والقطاعات المختلفة أن نتأسى بالنبي ﷺ في توجيه الشباب واكتشاف النابغين منهم في التخصصات المختلفة واستثمار قدراتهم وإمكاناتهم وتمكين أهل الكفاءة والأمانة منهم وإسناد المسئوليات إليهم كل في مجاله واختصاصه وأن لا نكل ولا نمل من نصحهم وإرشادهم بالطرق التي تناسب أفهامهم ومستوياتهم.



(١) سورة ق الآيات ١٩: ٢٢

الخاتـــــــــــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبنوره تنجلى الظلمات وصلوات الله وسلامه على سيد السادات وأفضل من في الأرض والسماوت سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد؛ فقد كان هذا جهد المقل حاولت به أن أكشف اللثام عن منهج الإسلام في إعداد المسئولين الشباب ليفيد أولي البصائر والألباب ويعلي من هممهم ويقوي من عزائمهم فينشطوا لتحمل المسئوليات ويتصدوا لما يعتريهم من العقبات.

وقد خلص البحث إلى نتائج مهمة منها:

١- كل بالغ عاقل مكلفٌ شرعا وهو مسئول عن أفعاله واختياراته العملية ويتحمل نتيجتها، وهو مسئول كذلك أمام الله تعالى وأمام ولي الأمر وأمام المجتمع إذا كلف بتكاليف خاصة حُمِّلَها من قبل ولي الأمر.

٢- للإسلام منهج سديد في تكوين المسئول المؤهل لحمل المسئولية، من شأن هذا المنهج أن يربط المسئول بربه ربطا وثيقا وأن ينمي فيه روح الشعور بالمسئولية ويبعث فيه روح اليقظة والعزيمة نحو العمل على نهضة أمته وبلاده.

٣- من أهم الضوابط التي تجب مراعاتها عند تولية المسئولين: الكفاءة والأمانة.

٤- تتسع في الإسلام مجالات المسئولية لدى الشباب لتشمل الجوانب الدعوية والتعليمية والثقافية والعسكرية وغيرها.

٥- ينهى الإسلام عن تفريط الإنسان في مسئوليته ويذم الاتكال على الغير في المسئوليات الخاصة والعامة، ومن تأمل توجيهات القرآن والسنة في هذا نهج في حياته نهج الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين في تحمل المسئولية الكاملة تجاه نفسه ومن كلفه الله تعالى برعايته وقرَّ في قلبه أن أحدا غيره لن يكفيه إياها فنشط لأدائها، وحاسب نفسه على تقصيرها في كل كبيرة وصغيرة.

٦- من أهم مكونات العقل المسئول في الإسلام: حتمية الأخذ بالأسباب واتباع الوسائل التي تحفظ على الناس حياتهم ودماءهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وتؤمن مجتمعاتهم وأوطانهم وتضمن لهم خيري الدنيا والآخرة، وذلك في كل المجالات والمواطن في الحضر والسفر في الصحة والمرض في الاقتصاد والاجتماع والعلم والطب وغيرها.

٧- نهج النبي ﷺ في إعداد المسئولين الشباب لحمل الأمانة والقيام بمسئوليات الأمة منهج الحوار معهم في قضايا من شأنها أن تنمي مشاعر مخافة الله تعالى ومراقبته في السر والعلن عند الشباب وتنمى فيهم روح الشعور بالمسئولية ومهارات إتقان العمل وتغرس في نفوسهم ملكات القيادة وأخلاق القياديين.

وإني لأوصي في ختام هذا البحث ببعض التوصيات آملا أن تجد صدى عند أهل الحل والعقد وأن تحظى باستجابة لديهم ومنها:

١- عقد دورات تدريبية في الجامعات والمعاهد في كل المجالات يكون الغرض منها إعداد الشباب لتحمل المسئوليات يقوم بالتدريب فيها أساتذة متخصصون في العلوم المختلفة بالإضافة إلى علم الإدارة وعلم التنمية البشرية.

٢- تحفيز مديري المصالح والمؤسسات للموظفين المتفوقين في أعمالهم وخصوصا من الشباب والاهتمام بهم.

٣- اكتشاف النابغين من الشباب سواء في الجامعات والمعاهد أو في الوظائف العامة وتنمية مهاراتهم العلمية والإدارية للاستفادة منهم في الأماكن القيادية.

على المؤسسات الدينية توثيق علاقة الشباب بربهم سبحانه وتعالى والعمل على زيادة الإيمان في قلوبهم مع إبراز الجانب التربوي في سيرة النبي ﷺ.



فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم جل من أنزله.

٢- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت ٦٤٣هـ، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك ابن عبد الله بن دهيش، ط ٣ دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي ت ٣٥٤هـ، ط١، دار التأصيل – القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل.

٤- أخبار المدينة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري،ت ٢٦٢هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.

٥- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ط٩ مؤسسة الرسالة،١٤٢١هـ-٢٠٠١م

٦- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ت: عمرو بن غرامة العمروي.

٧- التحرير والتنوير المعروف بتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد

٨- من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣هـ، ط الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبدالرحيم المباركفورى ت ١٣٥٣هـ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠- تفسير ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ت ٣٢٧هـ، ط٣ مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ١٤١٩ هـ ت: أسعد محمد الطيب.

١١- تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني ت ١٣٥٤هـ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

١٢- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت٧٧٤هـ، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ت: سامي بن محمد سلامة.

١٣- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب ت بعد ١٣٩٠هـ، ط دار الفكر العربي – القاهرة.

١٤- تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت ٦٧١هـ، ط٢ دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

١٥- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ت ١٣٧١هـ، ط١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ت ١٤٣١هـ، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

١٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف ابن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت ٤٦٣هـ، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٣٨٧هـ، ت مصطفى ابن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

١٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي ت ٧٤٢هـ، ط ١مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، ت: د. بشار عواد معروف.

١٩- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ، ط١مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م ت: أحمد محمد شاكر.

٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.

٢١- حاشية السندي على سنن ابن ماجه المسمى: كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه : محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي ت ١١٣٨هـ، ط دار الجيل - بيروت.

٢٢- الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي ت ٣١١هـ، ط١، ط دار العاصمة، الرياض - السعودية، ١٤٠٧هـ.

٢٣- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣هـ

٢٤- دستور الأخلاق في القرآن : محمد بن عبد الله دراز المتوفى: ١٣٧٧هـ،صـ ١٣٧، ط ١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٥- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ت ٥٨١هـ، ط١ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،ت: عمر عبد السلام السلامي.

٢٦- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت ٩٤٢هـ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض.

٢٧- سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،

ت ٢٧٣هـ، ط دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي،ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٨- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت ٢٧٥هـ، ط ١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد كامِل قره بللي، بالإضافة إلى طبعة المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ت: محمد محيي الدين عبدالحميد.

٢٩- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت ٢٧٩هـ، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ت: أحمد محمد شاكر وآخرين.

٣٠- سنن الدارمي ٣/ ١٨٦٦، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ت: حسين سليم أسد الداراني.

٣١- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ، ط٣ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م،ت محمد عبد القادر عطا.

٣٢- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ط دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٣٣- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي ت٧٤٨هـ، ط دار الحديث- القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٤- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ت ١٤٢١هـ، ط دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٥- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: القاضي حسين ابن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، رقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي.

٣٦- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ت: محمد عبد القادر عطا.

٣٧- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، ط ٢دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ ت: خالد بن عثمان السبت.

٣٨- العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب بن حدير ابن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ.

٣٩- علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي،ط٢، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ت ١٣٢٩هـ، ط ٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م ط السلفية ت: عبد الرحمن محمد عثمان.

٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢هـ، ط دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، وآخرين.

٤٢- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف بن علي ابن سعيد، شمس الدين الكرماني ت ٧٨٦هـ، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٣- لسان الميزان:أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى٨٥٢هـ ط١،دار البشائر الإسلامية٢٠٠٢م،ت:عبد الفتاح أبو غدة.

٤٤- المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي ت ٣٣٣هـ، ط جمعية التربية الإسلامية، البحرين - أم الحصم، ط دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

٤٥- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت: ٤٠٥هـ، ط١ دار التأصيل ١٤٣٥ – ٢٠١٤م.

٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل ابن أسد الشيباني ت٢٤١هـ،إشراف:د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١مؤسسة الرسالة١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ت:شعيب الأرنؤوط/عادل مرشد، وآخرين.

٤٧- مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ابن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي

٤٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ، ط دار

إحياء التراث العربي – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٩- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى: ٣٦٠هـ، ط دار الحرمين - القاهرة ت طارق ابن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
٥٠- المعجم الفلسفي: الدكتور جميل صليبا المتوفى: ١٩٧٦م، ط الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
٥١- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى:٣٦٠هـ ط٢ دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣ م ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي
٥٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي ت٦٧٦هـ،ط٢دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٣٩٢هـ.
٥٣- الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي ت ٢٤٤ هـ: مالك ابن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت: ١٧٩هـ، ط٢ دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤١٧هـ، ت: بشار معروف، بالإضافة إلى ط١ المجلس العلمي-الدار البيضاء،١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، بالإضافة إلى موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، ط المكتبة العلمية، ت: عبد الوهاب عبداللطيف.
٥٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي ت: ٨٨٥هـ، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى: ٧٦٤هـ، ط دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

فهرس الموضوعات


تم بحمد الله تعالى